حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم

"دراسة بلاغية تحليلية"

إعداد

د/ نشوى صبري المتولي السيد

المدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنات كفر الشيخ - جامعة الأزهر

أضواء بلاغية على حوار الآباء للأبناء في القرآن الكريم

نشوى صبري المتولي السيد

المدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات كفر الشيخ – جامعة الأزهر– مصر

البريد الإلكتروني : Rhalghazaly@gmil.com

الملخص:

الحوار هو لغة التواصل بين البشر ينضح بمكنونات النفس، ومن خلاله تتلاقي الأجناس البشرية تتوافق أو تختلف. ولأثره الفعال في تربية المجتمعات وتثقيفها وترسيخ القيم والمبادئ ومد جسور الترابط اهتم به القرآن الكريم فعرض لنا الحوار في صوره الدافئة الهادئة؛ فهو حوار الآباء للأبناء، وللإنصاف الذي أمرنا به ديننا وإحقاقاً للحق بين البحث في أحد جوانبه أن بلاغة وأدبيات الحوار نابع من فطرة سوية وُجدت قبل الإسلام عند أهل الفصاحة والبيان وتم عرض نماذج لبلاغة الحوار قبل الإسلام ثم ارتقى الإسلام بحوار الآباء للأبناء ليرسم لنا ملامح حقوق الأبناء وضرورة احتوائهم بحوار بلاغي جذاب يحمل معاني الود والتفاهم يكون حلقة وصل وامتداد لجسور المحبة. فنوع القرآن الكريم في عرض المواقف المتعددة للحوار لنري الحوار الناصح المرشد المطمئن للصغير كما في حوار نبي الله يعقوب – عليه السلام – مع ابنه نبي الله يوسف – عليه السلام– بعد قص رؤياه وهو الولد المطيع المقرب لقلب الأب، وفي الجانب الآخر حواره مع الأخوة الذين كادوا لأخيهم وكانوا سببا في حزن الأب وموقف الأب وبلاغته في احتواء الأبناء جميعاً. كذلك ألقى الضوء على بلاغة حوار نبي الله نوح –عليه السلام– مع ابنه الكافر وكيف حاول الأخذ بيده للنجاة ولكن عناد الابن وكبريائه منعه من اتباع الهدى. وقد كان للبحث إطلالة على بلاغة نصائح لقمان لابنه تلك النصائح الخالصة النابعة من روح الأبوة. كل هذا

يجعلنا نقر بأن القرآن الكريم دستور حياة أرسى مبادئ التعامل بين البشر، واهتم بالعلاقات الإنسانية وجعل للأسرة حيزا ومكاناً ليس باليسر فهي نواة المجتمع التي بصلاحها يصلح المجتمع. وبلاغة الحوار ورقي أسلوبه يعكس انطباعاً على الأجواء التي يحيا في ظلها البشر؛ لذا كان حوار الآباء للأبناء يسير بهدوء وسلالة معتمداً على الإيجاز والدقة في العبارة، وقد كان لظلال الألفاظ أثرها في استخراج مكنونات النفس، وتنوع الأساليب البلاغية لتكون وسيلة للإصغاء الذي يتبعه الإقناع إذا أعمل الأبناء عقولهم ولم يتمادوا في عنادهم.

الكلمات المفتاحية: أضواء بلاغية – حوار – الإباء– الأبناء – قران .

Rhetorical lights on the dialogue of fathers to children in the Holy Qur'an

Nashwa Sabri Metwally Mr
Lecturer at the Faculty of Islamic and Arabic Studies, Girls, Kafr El-Sheikh - Al-Azhar University - Egypt
Email: Rhalghazaly@gmil.com

Abstract:
Dialogue is the language of communication between humans that exudes the innermost potential of the soul, and through it the human races meet, agree or disagree. Because of its effective impact on educating and educating societies, consolidating values and principles, and building bridges of interdependence, the Holy Qur'an was interested in it, so it presented us with dialogue in its warm and calm forms. It is the dialogue of fathers for children, and for the fairness that our religion commands us to do and in order to fulfill the right.
Dialogue stems from a normal instinct that existed before Islam in the people of eloquence and eloquence. Examples of the eloquence of dialogue before Islam were presented. Then Islam advanced through the dialogue of fathers to children to draw for us the features of the rights of children and the need to contain them with an attractive rhetorical dialogue that carries the meanings of friendliness and understanding, as a link and an extension of bridges of love. The type of the Noble Qur'an is in presenting the various situations of dialogue, so we can see the dialogue that advises, guides and reassures the young, as in the dialogue of the Prophet of God Jacob - peace be upon him - with his son, the Prophet of God Yusuf - peace be upon him. After cutting his visions of the obedient boy close to the father's heart, and on the other side his dialogue with the brothers who almost killed their brother and were the cause of the father's sadness and the father's position and eloquence in

containing all the sons. He also sheds light on the eloquence of the dialogue of the Prophet of God Noah - peace be upon him - with his infidel son and how he tried to take his hand to escape, but the son's stubbornness and pride prevented him from following the guidance. The research had a look at the eloquence of Luqman's advice to his son, those pure advice stemming from the spirit of fatherhood. All this makes us acknowledge that the Noble Qur'an is a constitution of life that laid down the principles of interaction between human beings, and cared for human relations and made the family a space and a place that is not easy, as it is the nucleus of the society whose righteousness reform society. The eloquence of the dialogue and the sophistication of its style reflects the atmosphere in which people live; Therefore, the dialogue of fathers to their children proceeded calmly and smoothly, relying on brevity and accuracy in the phrase, and the shadows of the words had their effect on extracting the secrets of the soul, and the diversity of rhetorical methods to be a means of listening followed by persuasion if the children worked their minds and did not go too far in their stubbornness.

key words: Rhetorical lights - Dialogue – Parents – Children - Qur'an**.**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾

هود: ٨٨

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً يوافي نعمه وسحائب كرمه، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد النبي الهادي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،

يعد الحوار وسيلة التواصل بين الأجناس البشرية ؛ فهو طريقة التعبير عن الإرادة وعن مكنونات الذات بكل خواصها كيف كانت وأين صارت وما تطمح للوصول إليه، ولكي يثمر الحوار لابد من وجود لغة مشتركة بين طوائف المجتمع منصهرة في عاداته وتقاليده فضلاً عن أهوائه وميوله، متخذة من الدين والعقيدة سلاحاً تتقوى به يشد أزرها أوقات الأزمات؛ لاتخاذ الاتجاه الصحيح لتوجيه أفراد المجتمع للسير فيه، وديننا الإسلامي لم يترك صغيرة أو كبيرة تمس الذات البشرية والعلاقات الإنسانية إلا طرقها ومهد الطريق إليها ليرتقي بالأمة الإسلامية وتكون أفضل الأمم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾. [1] هذه الخيرية لم تتبوأها الأمة الإسلامية إلا بفضل اتباعها لتعاليم المنهج الإسلامي والسير على هدي المدرسة المحمدية، ولما كان اللسان على القلب دليلاً؛ كان للغة التي هي وسيلة الحوار فضلها في إنزال كل إنسان منزلته التي يستحقها باتباع طريقة الحوار المناسبة، ولما كانت المجتمعات تتكون من فئات وطوائف متنوعة كان لكل منها طريقة الحوار المناسبة لها، ولما كانت الأسرة نواة لهذه المجتمعات اهتم الإسلام بهذه النواة؛ فإذا صلحت صلح المجتمع؛ لذا وضع حدوداً للعلاقات الأسرية

١ – آل عمران: ١١٠

وآدابا في التعامل والحوار بين أفراد الأسرة الواحدة لتظل متماسكة قوية لا يؤثر فيها أي رياح عاصفة، وكثيراً ما نجد الباحثين تنصب دراساتهم على أدب الحوار بين الأبناء والآباء ، الجميع يطلب من الصغير احترام الكبير، وكأن الصغير مطالب بالواجبات فقط دون النظر إلى ما له من حقوق تربوية، خاصة أن أمر الإنفاق أصبح الهم الأعظم لرب الأسرة متجاهلاً لكون كل ما يصدر من الأبناء ردود أفعال لما عالجوه في الصغر؛ لذا أردت أن يكون موضوع البحث " حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم" دراسة بلاغية تحليلية"؛ لمحاولة فهم العلاقات الإنسانية وأثر لغة الحوار على النفس البشرية، وعلاقة الألفاظ بالمعاني الإنسانية وكيفية استخراج تلك المعاني التي كمنت واختبأت داخل النفس واستترت عبر الألفاظ لتدع القارئ يصل بقلبه بعد التدبر بعقله وإمعان النظر فيما عرض عليه للتوصل إلى حقيقة الأمر وفهم معنى المعنى؛ فهو يثير التفكير، ويحرك المشاعر والانفعالات المتنوعة، ويعامل غريزة إنسانية هي حب الاستطلاع والبحث عن المجهول؛ إذا الإنسان عدو لما يجهل، وبهذا يعد الحوار من أفضل الأساليب والطرق التي تهدف إلى البناء الإنساني بكل جوانبه لاسيما إذا تطلبته الأسر لوضع الأمور في نصابها فالاحترام المتبادل بين أفرادها من إلحاق الرحمة بالصغير والتوقير للكبير.

أهمية البحث ومنهجه:

لكون هذا الموضوع من الأهمية بمكان؛ حيث يتعلق بالنفس البشرية وانفعالاتها وفقاً للمواقف والظروف المحيطة بها على كافة الأصعدة؛ مما تطلب مني الوقوف على بعض المواضع التي كان للحوار فيها موقع في القرآن الكريم من خلال تنوع صوره التي أتى عليها، ثم القيام بتحليلها بوضع كل موضع تحت عنوانه، وغرضه، ثم القيام بتحليل تلك المواضع تحليلا بلاغيا دقيقا للوقوف على أسرار نظمه، وسر إعجازه، ويمكن القول بأنني

استخدمت المنهج التكاملي الكلي التحليلي الذي يعتمد على النظرة الكلية للنص القرآني، وتحليله في ضوء المقام الذي سيقت له الآيات القرآنية، وبهذه الدراسة أكون قد حاولت أن أقتبس من هذا النور، وإن بدا لي التقصير فحسبي أني قد عزمت بلوغ الأماني، والنية تعظم العمل، ومن كتب قبلي فكمل؟! فالله أسأل أن أكون من المخلصين، وأن يغفر لي كل تقصير.

الدراسات السابقة:

لم يكن هذا البحث الأول في مجال دراسة الحوار بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم فوجدت العديد من الدراسات السابقة في هذا المجال وإن اختلفت طرق التناول والتحليل؛ فالنص القرآني معجز لا يمكن لبشرٍ الإحاطة بأسراره أو الوصول لمكنوناته فكل من يقرأ القرآن الكريم يشعر بأنه يتحدث عنه ويشاركه إحساسه ويعبر عما في نفسه ويفرج ما به من غم أو هم ويدخل السعادة عليه؛ فهو المتجدد الذي لا تنتهي عجائبه؛ لذا اهتم الكثير بالاعتكاف على دراسته، ومن أهم الدراسات السابقة:

- الحوار بين الآباء والأبناء " رسالة ماجستير تخصص إرشاد وتوجيه"، إعداد الطالبة: كروش كريمة، إشراف: د. أحمد هاشمي، جامعة وهران السانيا كلية العلوم الاجتماعية قسم علم النفس وعلم التربية، لعام ٢٠١٠-٢٠١١م.
- الحوار والجدال في القرآن الكريم، الشيخ خلف محمد الحسيني، وكالة الصحافة العربية – مصر – ، سنة النشر ٢٠١٨ م.
- علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية " دراسة فقهية مقارنة" د. سعاد إبراهيم صالح.
- التربية بالحوار، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر – دمشق، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

وتختلف دراسة هذا البحث عن الدراسات السابقة من اهتمامها بالصياغة التعبيرية التي تعد انعكاساً للنفس البشرية تظهر قدرتها على إفشاء ما بداخلها بأسلوب راق لا سيما إذا كان الموضوع يتعلق بدراسة البلاغة القرآنية وما تحمله من إعجاز بلاغي.

خطة البحث:

. وللإلمام بالجوانب البلاغية في هذا البحث قسمته إلى تمهيد، وثلاثة مباحث على النحو التالي:

التمهيد: وفيه تأصيل لبلاغة الحوار بين الآباء والأبناء، واشتمل على تعريف الحوار وبيان أثره في الإقناع، وتأصيل لبلاغة الحوار قبل الإسلام.

المبحث الأول: بلاغة حوار لقمان مع ابنه.

المبحث الثاني: بلاغة حوار – نوح عليه السلام– مع ابنه.

المبحث الثالث: بلاغة حوار يعقوب –عليه السلام– مع بنيه.

ثم تأتي خاتمة البحث، ونتائجه، والفهارس.

والحمد لله رب العالمين . الباحثة

التمهيد

تأصيل لبلاغة الحوار بين الآباء والأبناء

سأتناول في هذا المبحث معنى الحوار، وما له من أثر وقدرة في الإقناع، ونتعرف من خلاله على أهميته عند العرب قبل الإسلام، وعرض نماذج لآداب الحوار بين الآباء والأبناء قبل الإسلام لتظل ثقتنا بالعقل العربي قائمة عبر الأزمنة المختلفة؛ فقد كانت ثقتهم في تأثير الحوار وقدرته على الإقناع واستمالة القلوب أمر فطري جبل عليه العربي بذكائه الفطري.

أولاً: تعريف الحوار وبيان أثره في الإقناع.

الحوار لغة: "**الحَوْرُ** :الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حارَ إلى الشيء وعنه حَوْراً ومَحاراً ومَحارَةً: رجع عنه وإليه؛ وفي الحديث: من دعا رجلاً بالكفر وليس كذلك حارَ عليه" أَي رجع إليه ما نسب، والحائر: الراجع من حال كان عليها إلى حال دونها والمحاورة المجاوبة، والتحاور التجاوب [١]، وحاورته: راجعته الكلام، وهو حسن الحوار، وكلمته فما رد علي مُحوره، وما أحار جواباً أي ما رجع. [٢]

الحوار اصطلاحاً: يعرَّف الحوار بأنه: "محادثة بين طرفين أو أكثر، تتضمن تبادلاً للآراء والأفكار والمشاعر، وتستهدف تحقيق قدر أكبر من

---

١ – مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر بك، دار القرآن الكريم بيروت، ١٩٧٢م ١٣٩٢هـ، صـ١٦١.

٢ – أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مكتبة لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م، صـ٩٦.

الفهم والتفاهم بين الأطراف المشاركة فيه لتحقيق أهدافا معينة يسعى المشاركون في الحوار إلى إنجازها"[١]

أما الحوار القرآني: فهو "كل نداء، أو خطاب، أو سؤال يوجهه القرآن، أو يحكيه موجهًا إلى منادى أو مخاطب أو مخاطبين، حول أمر هام بقصد توجيههم، أو توجيه اهتمامهم إلى هذا الأمر أو إلى تحقيق هدف معين أو القيام بسلوك فكري أو اعتقادي أو اجتماعي أو أخلاقي أو تعبدي، وعددناه حوارًا مع تقديرنا لاستجابة المخاطب أو تجاوبه النفسي، مع ملاحظة جواب القرآن على السؤال أو النداء المطروح. [٢].

وورد لفظ الحوار في القرآن الكريم بمعنى المشاورة والمجادلة وهي احدى متطلبات الحوار فقد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ [٣]. وورد بلفظ المجادلة في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٤]، وورد في القرآن الكريم تفاصيل كثيرة للعديد من المحاورات التي دارت في مجال الدعوة إلى عبادة

٤- الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه، منى إبراهيم اللبودي، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣ م، ص ١٩ ،٢٠.

٢ – التربية بالحوار، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر – دمشق، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، صـ ١٤.

٣ – آل عمران: ١٥٩.

٤ – النحل: ١٢٥.

الله الواحد الأحد؛ فعلى سبيل المثال: حوار الأنبياء مع الكفار من أقوامهم، أو حوارهم مع أتباعهم المؤمنين، وكذلك حوار الصالحين فيما بينهم .

وعندما نتأمل لفظ الجدال أو المجادلة: نجد أن أصله المخاصمة بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، ولكنه استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة، لظهور أرجحها، وهو محمود إن كان للوقوف على الحق، وإلا فهو مذموم"[١]. ويلحق بالجدال ما يعرف بالمذهب الكلامي وهو أحد فنون علم البديع ويعني: احتجاج المتكلم عنا لمعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه [٢]

ومن الملاحظ أن الهدف الرئيس من الحوار والجدال هو الوصول إلى الحقيقة ودعمها بالأدلة المنطقية، ولكن قد يجنح الجدال في كثير من الأوقات ويتجاوز إلى حد المخاصمات حينما يتعصب كل لمذهبه دون الاحتكام إلى المنطق والعقل؛ لذا دعا الإسلام إلى المجادلة بالتي هي أحسن؛ حيث أمر القرآن الكريم مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [٣]. وقد كان الكفار يتخذون من الجدال وسيلة للصد عن دين الله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَا نُرۡسِلُ

١ – الحوار والجدال في القرآن الكريم، الشيخ خلف محمد الحسيني، وكالة الصحافة العربية – مصر–، سنة النشر ٢٠١٨ م، صـ١١.

٢ – تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن الكريم، لابن أبي الإصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، تحقيق د. حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث، الجزء الأول، صـ١٨٩.

٣ – العنكبوت: ٤٦.

ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴾ [1] ، ورأى البعض أنه قد وردت كلمة الحوار والجدال بمعنى واحد في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ﴾ [2] "يشعر بأن الحوار والجدال بمعنى واحد. ويؤيد ذلك قراءة (قد سمع الله قول التي تحاورك في زوجها) «وقرئ (تحاورك) أي تراجعك الكلام و (تُجادِلُكَ) أي تسائلك» [3]؛ فهو حوار وجداني بالتي هي أحسن واستدرار للعطف والرحمة"[4]. والمتأمل يجد اختلاف دقيق بين الحوار والجدال؛ فالحوار يعتمد على العاطفة أولاً ثم العقل؛ لذا نجده بين من تربطهم صلاة أرحام. أما الجدال فيعتمد على العقل أولاً؛ لذا نجده يهتم بإثبات حقائق يحكمها العقل ثم تقبلها العاطفة بعد نضوجها في العقل. وهذا البحث يدور في فلك العاطفة؛ فهو محكوم بعاطفة الآباء تجاه الأبناء هذا الحب المطلق الفطري فمن أجله تحمل الآباء الكثير من العناء في تربية ورعاية الأبناء.

---

١ – الكهف: ٥٦.

٢ – المجادلة: ١.

٣ – القراءة الثانية في تفسير القرطبي «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م ج١٧ صـ ٢٧٢.

٤ – الحوار والجدال في القرآن الكريم، الشيخ خلف محمد الحسيني، صـ ٦٢. مرجع سابق.

والمتأمل لتعريف الحوار القرآني يجده تعريفاً جامعاً؛ فقد أدخل ضمن الحوار كل نداء في القرآن الكريم مما يخالف في بعض الأوقات مضمون ومحتوى الحوار؛ فلكي يحصل الحوار على الثمرة المرجوة، فلابد من وجود محاورة بين طرفين أو أكثر تحمل في طياتها نوعاً من التجاوب أياً كان هذا التجاوب إيجاباً أو سلباً؛ فالتفاعل النفسي أحد مقاصد الحوار. ومن هنا يمكننا القول بأن " الحوار غرض أساسي من أغراض القرآن الكريم وأسلوب محدد من أساليبه التي يهدف بها إلى تحقيق أغراضه الشاملة لكل جوانب الإصلاح عامة، سواء أكانت فردية أم جماعية"[١].

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

بدراسة مصطلح الحوار يمكننا القول: إن التعريفين اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الحوار يدوران في فلك واحد يخدم فكرة البحث الأساسية من كونه متكئاً على دراسة إنسانية لا تنفك عن احتياجات النفس البشرية عبر الأزمنة المختلفة؛ إذ الحوار في اللغة يتضمن الرجوع عن الشيء أو إلى الشيء، وهذا الرجوع لا يتحقق إلا بالمفهوم الاصطلاحي وهو: المحادثة التي تضمنت تبادلاً للآراء والأفكار مما ساعد على اكتمال فكرة ما، وتحقيق هدف سعى المتحاورين لإنجازه.

وثمة تعريف للحوار بأنه: تلك العلاقة التفاعلية المستمرة والدائمة بين الآباء والأبناء، التي تتم من خلالها تبادل الآراء والأفكار ووجهات النظر،

١ – أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، د. عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبة الثالثة، ١٩٩٥م، صـ ٢٩.

مع وجوب احترام وتقبل الرأي الآخر للتقارب والتفاهم بين الآباء والأبناء؛ وحل المشكل التي يمكن أن تواجه أحد أفراد الأسرة.[١]

وننطلق من تعريف الحوار إلى معرفة المقصود بالآباء:

الآبـــاء: (الأب) أصـــله (أبـــو) بفـــتح البـــاء لأن جمعـــه (آبـــاء) ، و(الأبـوان): الأب والأم.[٢] وإطـلاق المـذكر علـى المـذكر والمؤنـث اعتمـاداً على باب التغليب في اللغة العربية "إعطاء الشيء حكم غيره. وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، أو إطلاق لفظه عليهما؛ إجراء للمختلفين مجرى المتفقين، وهو أنواع منها تغليب المذكر"[٣].

ثانياً: تأصيل لبلاغة الحوار قبل الإسلام.

في هذا المطلب نتوصل إلى أنه ما من مصطلح في اللغة العربية إلا وله ارتباط وثيق بأصل لغوي له تعلق بحياة البشرية، ومصطلح الحوار له أصله المعروف في لغة العرب كما مرَّ بنا. وهذا الأصل اللغوي ينبئ عن أصل تاريخي؛ لذا سيعرض هذا المطلب نماذج من حوار الآباء للأبناء في العصر الجاهلي؛ لندرك من خلالها كيف أيقن العربي في الجاهلية أهمية الحوار وأثره في التنشئة وقدرته على الإقناع واستمالة النفوس للسماع وإذا كانت هذه جزءاً من فطرة العربي؛ فالإسلام أولي بإطلاق حوار يلتقي والنفس البشرية ويناسب العقيدة الإسلامية؛ فبظهور الإسلام اتسع الاستعمال

---

١ – الحوار بين الآباء والأبناء " رسالة ماجستير تخصص إرشاد وتوجيه"، إعداد الطالبة: كروش كريمة، إشراف: د. أحمد هاشمي، جامعة وهران السانيا كلية العلوم الاجتماعية قسم علم النفس وعلم التربية، لعام ٢٠١٠-٢٠١١، صـ٢٦.

٢ – مختار الصحاح، للشيخ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مرجع سابق، صـ٣.

٣– البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨ ١٩٨٨، الجزء الثالث، صـ ٣٠٢.

اللغوي لمصطلح الحوار؛ فانتقل إلى الاستعمال الشرعي في القرآن الكريم والتداول بين أبناء الإسلام، وحصل الامتزاج بين كلا الاستعمالين اللغوي والشرعي، وأصبح مضمون الحوار أصلاً بنيت عليه حياة المسلمين عبر العصور والأزمنة.

دراسة بلاغية لنماذج لبلاغة الحوار من وصايا الآباء للأبناء في العصر الجاهلي

أولاً: بلاغة الحوار في وصية أمامه بنت الحارث لابنتها:

ولعل دلالة مادة (حور) في حياة العرب هو نتاج للتطور البيئي والمعرفي على مر العصور وبالرغم من هذا التطور في الاستعمال يظل الجذر الثابت للمصطلح محتفظاً بمعناه الأصلي فحينما نعود إلى وصية "أمامه بنت الحارث لابنتها أم إياس " [1]لابنتها لما آن أن يحملوا «أم إياس» إلى زوجها، قالت لها أمها: أي بنية :إن الوصية لو تركت لفضل أدب، تركت لذلك منك؛ ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها، وشدة حاجتها إليها، كنت أغنى الناس عنه؛ ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال.

أي بنية :إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيبًا

---

١ – امامة بنت الحارث بن عوف الشيبانية قيل اسمها «قرصافة»، وقيل هي البرصاء والدة شبيب، وزوجها عوف بن محلم الشيباني. فصيحة من فصيحات العرب، لها وصية تعد من أفضل ما قيل في موضوعها، أوصت بها ابنتها «أم إياس» لما تزوجها ملك كندة الحارث بن عمرو. «صيد الخاطر»، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي(ت:٥٧٩)، تحقيق: حسن المساحي سويدان، دار القلم–دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، صـ٢١٤ .

ومليكًا؛ فكوني له أمة يكن لك عبدًا وشيكًا. يا بنية :احملي عني عشر خصال تكن لك ذخرًا وذكرًا، الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضوع أنفه؛ فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود، والتعهد لوقت طعامه، والهدوء عنه عند منامه؛ فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله؛ فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير، ولا تفشي له سرًا، ولا تعصي له أمرًا؛ فإنك إن أفشيت سره، لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره، أو غرت صدره، ثم انقي من ذلك الفرح إن كان ترحًا، والاكتئاب عنده إن كان فرحًا؛ فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظامًا، يكن أشد ما يكون لك إكرامًا، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما تكونين له مرافقة، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين، حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك"[1].

نلحظ في هذه الوصية التلطف في النصح والتحبب والترقق لهذه البنية التي أوشكت على مغادرة بيت الأهل الذي تربت وترعرعت فيه، في البداية حاورت الأم ابنتها بقولها:" أي بنية" لهذا الأسلوب في الحوار دلالات رائعة منها التلطف في الحوار لجذب الانتباه إلى ما يصاغ بعد ذلك، فهذا الأسلوب الرقيق في التعامل حثنا عليه ديننا الإسلامي فقد قال الله تعالي في

١- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة المؤلف: أحمد زكي صفوت الناشر: المكتبة العلمية بيروت–لبنان، ج١، صـ١٤٥

بيان صفات رسول الله وحثه على الرفق في الدعوة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [١].ومن الدلالات الرائعة في هذا الأسلوب ما يوحي به من كون هذه الفتاة وإن غادرت بيت الأهل لكن هناك رباط وثيق يربطها به وهو سنوات البراءة تلك الطفولة التي تحمل في طياتها معان جميلة من الحب والرعاية والاحترام والاحتواء؛ فهو قائم وقت حاجتها إليه، فلم يقطع الزواج علاقتها بأهلها ؛ فهي الصغيرة المدللة في نظرهم وإن كانت قد بلغت سن الزواج. كل هذا حملته الإيحاءات[٢] التي دل عليها التصغير في اللفظ، وأسلوب النداء[٣] بأي الذي يقصد به إلى نداء القريب ؛ فإذا تركت البنت بيته أهلها فهي محفورة في قلوبهم .

نلاحظ أيضاً استخدام هذا الأسلوب " أي بنية " في النصيحة مرتين: الأولى: استهلت به الأم نصيحتها والثانية: حينما بدأت الحديث عن مفارقتها لهم:" أي بنية إنك فارقت الجو الذي منه خرجت" لتفيد أنها وإن بعدت في

---

١ – آل عمران: ١٥٩.

٢– الإيحاء هو: الإبانة عما بالنفس بغير الشفاهية على أي معنى وقعت ، من إيماء ، وإشارة، وكناية. البرهان في وجوه البيان، لأبي إسحاق بن إبراهيم بن سلمان بن وهب الكاتب، تحقيق د. حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، صـ١١٣.

٣ – النداء هو: التصويت بالمنادى لإقباله عليك، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للسيد الإمام يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، تحقيق: محمد بن عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٥م، صـ ٥٣٥.

المكان لكنها مستقرة في الوجدان؛ مما يهون الصعوبات النفسية التي تجتاح الفتاة من قلق تجاه هذه الحياة الجديدة المقبلة عليها.

وبعد هذا التدلل والتلطف من الأم لابنتها ينتقل الحوار ليأخذ طوراً جديداً متمثلاً في قولها:" احملي عني عشر خصال يكن لك ذخرًا وذكرا." ها هو أسلوب الأمر المجازي ساقته الأم وغرضها النصح والإرشاد [١]. نلاحظ صيغة الأمر المجازية التي لا تنفك عن معنى الأمر لكنه من الناصح الصادق الهادي للنفوس الحائرة؛ لذا نلحظ فيه ونستشعر تلك المشاعر الصادقة من الأم المغلفة بالمحبة التي يشوبها القلق، مشاعر امتزج فيها الحب والقلق من ذلك المستقبل الغامض المكتوب في صفحات القدر التي لا يعلمها إلا الله.

وتنتقل الأم من أسلوب النداء القريب، والآمر الناصح إلى سرد وصاياها بطريقة موجزة معبرة؛ حيث جعلت من أسلوب الإيجاز [٢] مجالاً خصباً لعرض وصاياها؛ فجمعت الوصايا ثم شرعت في بيانها، بصورة تجمع بين الإيجاز والبيان مراعية فيه حال المخاطب– ام إياس – ابنتها تلك الفتاة الذكية الألمعية المعروفة بالفطنة والبراعة.

١ –علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار ط٣، صـ ٣٦٥.

٢ – الإيجاز هو: دلالة اللفظ على المعني بغير زيادة عليه، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د: أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر – الفجالة– القاهرة، الجزء الثاني، صـ ٢٨١. وينظر البلاغة الاصطلاحية د. عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، الطبعة: الرابعة، سنة ٢٠٠٠م، صـ٢٦١.

وتعد وصية أمامه بنت الحارث هذه نموذجاً للعديد من وصايا الآباء للأبناء قبل الإسلام لمسنا فيها حب واحترام دلت عليه صيغة الحوار.

****

ثانياً: بلاغة الحوار في وصية ذي الإصبع لابنه أسيد:

ونتأمل سوياً وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد، لما احتضر ذو الإصبع[١] دعا ابنه أسيدًا؛ فقال له :يا بني إن أباك قد فني وهو حي، وعاش حتى سئم العيش، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته، فاحفظ عني، ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم، يكرمك كبارهم، ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك، وارحم حريمك، وأعزز جارك، وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك، وأسرع النهضة في الصريخ[٢]؛ فإن لك أجلًا لا يعدوك، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئًا، فبذلك يتم سؤددك"[٣].

هذه وصية أب يحتضر لابنه سارت على نفس منهج وصية "أمامه بنت الحارث " لابنتها، وكأنها قواعد مسلم بها وإن لم تكن هناك ثمة

١- ذو الإصبع: وذو الإصبع العدواني: شاعر معمر من شعراء الجاهلية. قال أبو حاتم في كتاب المعمرين: عاش ذو الإصبع، وهو حرثان بن محرث، من عدوان بن عمرو بن قيس عيلان، ثلاثمائة سنة، وإنما سمي ذا الإصبع، لأن أفعى نهشت إبهام رجله فقطعها. ويقال: إنه كانت له إصبع زائدة. الكتاب وكان لذي الإصبع أربع بنات وكانت إحدى بناته وهي أُميمة شاعرة أيضاً. خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، موقع الوراق الجزء الثاني ، صـ٢٠٣ http://www.alwarraq.com

٢ – أي نداء المستغيث.

٣ – جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة المؤلف: أحمد زكي صفوت الناشر: المكتبة العلمية بيروت–لبنان، ج١، صـ١٢٥.

نصوص توثق ذلك؛ فاستهل وصيته بقوله: " يا بني إن أباك قد فني وهو حي" فلم يحاور ابنه باسمه وإنما بصلة القرابة، مع صيغة التصغير، ولما اختلف المقام اقتضي الأمر بعض التغيرات في لغة الحوار لتتلاءم وما سيقت له؛ فالمقام هنا مقام احتضار أي قد يعقبه فراق؛ لذا آثر استخدام أداة النداء "يا"[١] التي تفيد نداء البعيد واستخدمها لنداء القريب للتنبيه على عظم الأمر المدعو له[٢] ووصل ما سيكون بما هو كائن.

كذلك اتسمت الخطبة بالإيجاز المعبر؛ فقد وفى المعاني دون خلل؛ حيث أتى بألفاظ معبرة ناطقة بالحالة النفسية التي قيلت فيها الخطبة – قول من يحتضر وزهدته الحياة وزهدها– فلننظر إلى الأسلوب في قوله :"أباك" ففيه التفات [٣]من التكلم إلى الخطاب والالتفات هنا ليس لمجرد جذب الانتباه وإنما ينطوي على دواخل نفسية ونوازع إنسانية اجتاحت شخصية المتكلم أراد بها أن يؤهل أحبابه لمستقبل تشعر نفسه به هو ليس بداخله؛ لذا كان الأمر أدعي إلى حسن الإنصات والتلقي، ونثر "ذو الإصبع" أدوات

١ – أصل النداء بـ "يا" أن يكون لنداء البعيد حقيقة أو حكماً. من أسرار التعبير في القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٣.

٢ – المفصل في علوم البلاغة العربية المعاني، البيان، البديع، د .عيسى العاكوب، منشورات جامعة حلب، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠.، صـ٤١٣.

٣ – الالتفات عند الجمهور هو: التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة، التكلم، أو الخطاب، أو الغيبة، بعد التعبير عنها بطريق آخر منها. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٩م، الجزء الأول صـ١٣٨، وعرفه العلوي بأنه: العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، الطراز للعلوي، صـ ٢٦٥ مرجع سابق.

التوكيد المختلفة " إن، وقد الداخلة على الفعل الماضي" في مستهل وصيته للتأكيد على أهمية تدبرها والعمل بمحتواها، وجمع بين المتضادين في قوله: " قد فني وهو حي" فكان للطباق[١] دوره في إثارة الفكر للوصول إلى محتوى العبارة التي ساقها؛ إذ كيف يفنى الإنسان وهو حي؟ ولنتأمل لفظ "سئم" في قوله: " وعاش حتى سئم العيش" وما يوحي به اللفظ من معاناة في حياة المتكلم التي امتدت لفترة طويلة؛ " عاش ذو الإصبع مائة وسبعين سنة، وذكر أبو حاتم السجيستاني أنه عاش ثلاثمائة سنة وعن فقد قدرته على السمع والبصر يقول:

أَصبَحَتُ شَيخاً أَرى الشَخصَينِ أَربَعَةً * وَالشَخصَ شَخصَينِ لَمّا شَفَّني الكِبَرُ**

لا أَسمَعُ الصَوتَ حَتــى أَستَديرَ لَـهُ * ليلا وإن هو ناغاني به القمر" [٢]**

وأياً كان الفترة الزمنية التي دار الخلاف حولها فهي حياة معمرة كانت الوصية التي بين أيدينا ثماراً لها؛ ولعل السلاسة والوضوح في العبارة تنبئ عن أب كل حاجته في الحياة صلاح أبنائه وسيرهم على هديه؛ ليكونوا ذخراً وفخراً وعوناً لقومهم في ظل حياة بدوية صعبة تجشم أهلها صعوبة العيش في ظل الصحراء الموحشة بلهيب شمسها وحرارة رمالها وما يتكبد أهلها من خطر دائم يهدد حياتهم من تقلبات الطبيعة عليهم أو مهاجمة حيوان مفترس أو سام أو مواجهة بعضهم البعض فيما يعرف بالإغارة.؛ لذا

---

١ – الطباق هو: الجمع بين متضادين في الجملة. تسهيل نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، للرازي، تحقيق: د. عبد القادر حسين، طبعة دار الأوزعي بيروت– لبنان، ١٩٨٩م، صـ١١٨.

٢ – ديوان ذي الإصبع العدواني حرثان بن محرث (توفي قبل ٢٢أو ٢٥ قبل الهجرة)، تحقيق: عبد الوهاب محمد على العدواني وآخرون، مطبعة الجمهورية – الموصل، سنة ١٩٧٣م، صـ١٣،١٢.

نـراه يـؤثر الفـاء العاطفـة المقترنـة بصـيغة الأمـر فـي قولـه:" فـاحفظ عنـي" ناصحاً مرشداً له؛ إذ " الفاء" تفيد التعقيب؛ فإذا أردت بني أن تكون منزلتك في قومك مثل ما كان لي، فاحفظ هذه الوصية والحفظ هنا يعني العمل بمحتواها.

ونثر الموصي فعل الأمر في أرجاء وصيته (ألن، وتواضع، وابسط، وأكرم، واسمح، وارحم، وأعن وصن)، ومن براعة الأسلوب أنه جاء بأسلوب الأمـر وغرضـه النصـح والإرشـاد؛ فعلـى سـبيل المثـال فـي قولـه:" وأكـرم صـغارهم كما تكرم كبارهم، يكرمك كبارهم، ويكبر على مودتك صغارهم"، فعلى إيجاز هذه الوصية لم تهمل أي جانب من حقوق الرعية مما يضمن سلامة السيادة؛ إذا كان إكرام الكبار حق واجب فإكرام الصغار لا يقل منزلة عن إكرام الكبار، فإذا كان الكبير معك ويؤيدك الآن فأنت في حاجة على مناصرة صغير اليوم لك في الغد؛ وإذا كبر الصغير على المودة بكل ما تعنيه الكلمة من معان نفسية كان عطاؤه مؤكد.

وهذه الأفعال ووردوها المتناثر في أرجاء الوصية تبع لقوله في بدايتها " فاحفظ عني" وخاتمتها " فبذلك يتم سؤددك "؛ نلحظ من خلاله التناسب بين المطالع والمقاصد والخاتمة مع الإيجاز، ودقة الأسلوب تعكس أهمية هذه الوصية، والحالة النفسية للموصي وما يشعر به من ضيق الوقت، ورغبته في ترك كلمات تكون هي الميراث الحقيقي لفلذة كبده.

– من خلال هذين النموذجين للوصايا في العصر الجاهلي رأينا كيفية التعامل مع الأبناء، ورقة الأسلوب ودقته والحفاظ على الجانب النفسي للأبناء من خلال تخير الكلمات ووضعها في عبارات تجذب الانتباه وتثير الاهتمام وتجبر السامع على التنفيذ دون الشعور بالأمر أو النهي والتنفيذ عن حب وثقة مما يقال؛ فهي عبارات مقنعة تسوق أدلة وبراهين وهو ما يحتاجه الأبناء في مراحل العمر المختلفة. ليست مجرد أوامر أو رغبات

للآباء إنما هي عبارات تضمن بها سلامتك وسلامة من حولك. عبارات لا تتوقف على مجرد اشعار الأبناء بالمسؤولية بل تأخذهم تجاه تحملها والخوض في غمارها.

وما أحوجنا في أيامنا هذه إلى حلقة الحوار هذه التي نشأة في الأصل من تنشئة مستقيمة منذ السنوات الأولى للطفل، وما أحوج الأبناء إلى مثل هذا الحوار الذي يشعر بالقرب الدائم من مصدر القوة والأمن –الأبوين– حتى ننتج جيلاً مستقراً وسوياً نفسياً وأخلاقياً؛ وقد دعنا الإسلام إلى الاهتمام بالصغير ففي الحديث الشريف: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا "[1]. ففي الحديث الشريف قدم رحمة الصغير على توقير الكبير؛ فصغير اليوم كبير الغد.

****

١ – مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م، ج١١، صـ ٣٤٥.

المبحث الأول: بلاغة حوار لقمان مع ابنه في سورة لقمان

يعد الحوار حلقة الوصل بين الآباء والأبناء فإذا فُقدت لغة الحوار بين أفراد الأسرة اجتاحها التفرق الذي هو أساس الضعف في أي بنيان إنساني. وفي حديثنا عن آداب الحوار دائماً ما نوجه الحديث إلى الأبناء وذلك لأنهم ما زالوا في مرحلة الإعداد والتنشئة، وتختلف صيغة الحوار تبعاً للتنشئة، والبيئة، وثقافة المتحاورين، ولما كانت البلاغة القرآنية أرقي وأبلغ أداة لحوار الآباء مع الأبناء كان هذا المبحث مخصصاً للارتواء من معينها؛ "فالأبناء أمانة وضعها الله بين يدي الآباء وهم مسئولون عنها، فإن أحسنوا إليهم بحسن التربية كانت لهم المثوبة وإن أساءوا تربيتهم استوجبوا العقوبة" [1] وقد قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم:" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته"(٢) ، وانطلاقاً من هذه الرعاية المتكاملة التي حث عليها الإسلام في إطار الأسرة ليستقيم المجتمع سيتناول البحث ما دار من حوار بين لقمان وابنه.

- يعد حوار لقمان مع ابنه صورة مثلى للتربية الطيبة التي أرشدنا إليها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ

١ – علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية " دراسة فقهية مقارنة" د. سعاد إبراهيم صالح، دار التعاون، الطبعة الثالثة، صـ٤٥.

٢ – المغني في الضعفاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر، ج٢ صـ٢١٤.

بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [1] .

نبذة عن لقمان الحكيم:

" قال تعالى: (ولقد آتينا لقمان الحكمة) أي أعطيناه العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور واختلف فيه فقيل: إنه كان حكيما ولم يكن نبيا عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وأكثر المفسرين وقيل إنه كان نبيا عن عكرمة والسدي والشعبي وفسروا الحكمة هنا بالنبوة وقيل إنه كان عبدا أسود حبشيا غليظ المشافر، مشقوق الرجلين في زمن داود– عليه السلام– وقال له بعض الناس ألست كنت ترعى؟ معنا فقال نعم قال فمن أين أوتيت ما أرى ؟ قال قدر الله وأداء الأمانة وصدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وقيل إنه كان ابن أخت أيوب عن وهب وقيل كان ابن خالة أيوب عن مقاتل وروي عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله – صلى الله

١ – لقمان: ١٢ – ١٩.

عليه وآله وسلّم- يقول حقا أقول: لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه ومن عليه بالحكمة كان نائما نصف النهار إذ جاءه نداء يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت إن خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وإن عزم علي فسمعا وطاعة فإني أعلم أنه إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لأن الحكم أشد المنازل وآكدها يغشاه الظلم من كل مكان إن وقى فبالحري أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا وفي الآخرة شريفا خير من أن يكون في الدنيا شريفا وفي الآخرة ذليلا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم كان يؤازر داود بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى"[1] .

في بداية الحديث عن لقمان والتعريف به قال تعالى:" ولقد أتينا لقمان الحكمة" نلحظ براعة وبلاغة اللفظ القرآني؛ إذا الحكمة ليست من الماديات؛ لذا ناسبها أتينا دون أعطينا؛ لما بين اللفظين من فروق لغوية؛ إذ الإتيان في مواضع القرآن فيما له ثبات وقرار كالحكمة والسبع المثاني، أما الإعطاء فيكون لما ينتقل منه قضاء الحاجة كما في قوله تعالى " إنا أعطيناك

١ - ذكر الطبرسي في تفسير هذه الآيات مجمع البيان، الطبرسي، ج٨، ص٨٠-٨٢.، «تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعالبي تحقيق عدد من الباحثين(مجموعة رسائل جامعية)، دار التفسير- جده- المملكة العربية السعودية، ٢٠١٥م ج٢١ صـ ٢٠٠ .

الكوثر"؛ فإعطاء الكوثر للانتقال إلى ما هو أعظم منه "[١] وبدت بلاغة اللفظ القرآني في إحلال كل حرف في موضعه وتوطين كل كلمة في معناها.

الأضواء البلاغية على الوصية الأولى: الشكر لله:

في قوله: (أن اشكر لله) التفات من الخطاب إلى الغيبة، وفي هذا الأسلوب معنى التعظيم فمن يستحق الشكر على ما أولاك من نعم هو الله سبحانه وتعالى في كل وقت وحين سواء، وقد آثرت البلاغة القرآنية التعبير بـ"الشكر" دون "الحمد" في هذا الموضع؛ إذ " الشكر عرفان الإحسان بالقلب والنشر باللسان ، والحمد يكون في الثاني دون الأول، والشكر لا يقال إلا في مقابل نعمة"[٢] ولصيغة المضارع دلالتها في التعبير فسواء استحضرت فضل الله عليك أو غاب عنك ذكره لزمك شكره لما يترتب عليه من نعم عظيمة، يؤكد على هذا دلالة الآية في قوله تعالى:(وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ).

وتنوعت الصيغ التعبيرية في الآية الكريمة فقد عبرت عن الشكر بالمضارع الدال على الاستمرارية؛ إذ الشكر يكون في كل وقت لأنه عقيدة المسلم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [٣]

١ – الفروق اللغوية في القرآن الكريم، د. عبد الجبار فتحي زيدان، العراق – الموصل – ٢٠٢٠م، صـ٢٤٧

٢ – الفروق اللغوية في القرآن الكريم، د. عبد الجبار فتحي زيدان، صـ٤٩٠. مرجع سابق.

٣ – إبراهيم: ٧.

بينما عبرت في جانب الكفر بالماضي الدال على الانتهاء وإتمام الأمر إشعاراً بأن الشكر يتحقق بالاستمرار عليه بينما الكفر يكفي فيه المرة قال تعالى:"قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [1]

وأتت «اللام» في جملة (أن اشكر لله) للاختصاص فالله – سبحانه وتعالى –المختص بالشكر؛ فهو واهب النعم واسع الفضل على عباده.

يستوقفنا ذلك الحوار الأبوي الراقي بين لقمان وابنه، ونثر الوصايا العظيمة على هيئة حوار اكتملت فيه معاني المحبة والرفق والتودد من الأب لابنه مثل هذا الحوار المغلف بالمحبة لا شك يجني ثماراً طيبة. ومشاعر الود في الحوار أبرزها جمال الأسلوب ودقة الصياغة. قال تعالى في وصية لقمان الأولى: (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)، بدت الحكمة في حوار لقمان حيث؛ تدرجت وأخذت بالأهم ثم المهم؛ فقد بدأ بالعقيدة، فهذه الوصية الكبرى في الحياة التي تضمن له السلامة في الدارين؛ لذا استهل وصاياه بأسلوب النداء وما فيه من طاقات متمثلة في اختيار حرف النداء "يا" التي هي لنداء البعيد والابن حاضر يستمع إلى وصايا أبيه وما ذلك إلا لبيان عظم منزلة الابن عند أبيه وبيان مكانته العالية؛ ففي اللفظ انعكاس لرؤية الأب لابنه وما يكنه له وما يأمل ويطمح أن يكون عليه؛ فهو فخر أبيه. ونتأمل لفظ " بني " وما يوحي به من شحنات تودد وعطف واحتواء. وإذا عقب أسلوب النهي أسلوب النداء الراقي كان أفضل وأدعي ما يكون للاستجابة فلا تفعل هنا ليس على حقيقته وإنما انعكاس لمشاعر الأبوة الدافئة الناصحة الراشدة إلى الطريق الصحيح، وكان

١ – النساء : ٤٨

لدلالة السياق [١] أثره في الوصول إلى مغزى الأسلوب والهدف منه والتأكد من الغرض المسوق له وهو للنصح والإرشاد [٢].

وقد كان لأسلوب الفصل [٣] دوره في الأسلوب؛ فقد فصلت جملة (إن الشرك لظلم عظيم) عما قبلها لما بين الجملتين من شبه كمال الاتصال [٤] فالجملة الأولى متضمنة لسؤال وقعت الجملة الثانية جواباً عنه فأراد الأب أن يعطي للابن إجابة عن كل ما تصوره له نفسه وما قد يخطر على باله

---

١ – السياق هو: ضم الوحدات اللغوية بعضها إلى بعض، وإحكام شد أجزائها إن اتصالاً وإن تتابعاً، وما تعكسه من دلالة في النص أو الخطاب. بحث بعنوان: أثر إغفال السياق في الابتعاد عن الدلالة المرادة في الخطاب القرآني، الشريفي، رحيم كريم علي، المحني حسين علي هادي، (م. مشارك)، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة– العراق، مجاد ١٠، العدد ٣٥، سنة ٢٠١٥م.

٢ – المفصل في علوم البلاغة، صـ ٣٧٣. مرجع سابق.

٣ – الفصل هو: ترك العطف. علم المعاني، د. بسيوني فيود، صـ ٤٢٩. مرجع سابق. الوصل عطف بعض الجمل على بعض ، والفصل تركه وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر. الصناعتين ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري(ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق : محمد على البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت–، ١٩١٤هـ، صـ ٤٣٨ ، ومفتاح العلوم ، ليوسف بن أبي بكر بن على السكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى– لبنان– ، ٢٠٠٠ م،صـ ٣٥.

٤ – شبه كمال الاتصال أو الاستئناف البياني هو: أن تكون الجملة الأولى متضمنة لسؤال تقع الجملة الثانية جواباً له، فتفصل الثانية كما يفصل الجواب عن السؤال لما بينهما من اتصال. خلاصة المعاني، صـ٢٦٩. مرجع سابق خصائص التراكيب دراسة تحليلة لمسائل علم المعاني، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٦.صـ ٣٠٥. علم المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، صـ ٤٦٣.

ولا يطاوعه لسانه على البوح به؛ لذا ساق الأب الأفعال ونتائجها. وأتت النتائج مؤكدة بأكثر من مؤكد (إن، واللام)؛ فقد آثر الأب التلميح بالسؤال دون التصريح؛ لما يحمله هذا الأسلوب من جذب الانتباه، وأتى بجواب السؤال المقدر مؤكداً بأكثر من مؤكد؛ ليكون أثبت للمعنى في نفس السامع، وأشد في إبعاد أي شكوك.

الأضواء البلاغية على الوصية الثانية: حق الوالدين:

بعد أن تحقق الأب من سلامة الدين ورسخ معالم التوحيد، كانت الوصية الثانية خاصة بالوالدين؛ لِما لهما من منزلة عظيمة في الإسلام؛ فقد ورد ذكرهما والتنبيه على فضلهما ومكانتهما في مواضع عدة في القرآن الكريم، كما أنهما سبباً في وجود الابن في هذه الحياة.

ولمكانة منزلة الوالدين كانت الوصية بهما من رب العزة –سبحانه وتعالي- ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [1].

وفي قوله تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه) إلى آخر الآية، اعتراض بين الكلام المنقول عن لقمان وليس على لسانه كما يتضح من سياق الآيات الكريمة ففي مطلعها " ووصينا الإنسان بولديه " واختتمت بقوله تعالى:" وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" فالحكم هنا ساقه رب العالمين وشرف به لقمان بأن وضعه بجوار

١ – لقمان: ١٤ – ١٥.

وصاياه لابنه. وكون الوصية بالوالدين تعقب عدم الإشراك؛ فهذا هو المنهج الإلهي، وما أمر به المولى سبحانه وتعالى في مواطن عدة من القرآن الكريم حيث قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (١).

وهذه الوصية لم تسر على نفس منهج الوصية الأولى؛ فهي وصية رب العالمين؛ لذا كان الخطاب فيها عاماً للإنسانية كلها، وهو ما يتناسب مع منهج الرسالة المحمدية، ففيه دلالة على وجوب شكر الوالدين وأنه كوجوب الشكر لله بل هومن شكره تعالى لانتهائه إلى وصيته وأمره تعالى، فشكرهما عبادة له تعالى.

في قوله تعالى : (أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) التفات من التكلم إلى الخطاب ولا يخفي ما في أسلوب الالتفات من دعوة للعقل إلى التأمل والتدبر وإدراك الصلات بين أجزاء العبارة ومعرفة العلاقات بين المعاني؛ حينما أراد المولى سبحانه وتعالى- أن يوصي الإنسان بمن يستحق الشكر في هذه الدنيا ، ويذكره بالسبب الثاني في وجوده على ظهر هذه الأرض استدعى المقام ذكر المستحقين للشكر مرتبين ، ولما كانت الذات الإلهية هي سبب الوجود والخلق من عدم كان المقام مقام استحضار لعظمته سبحانه وتعالى عبر بالتكلم لما يحمله الأسلوب من سيطرة وهيمنة المولى – سبحانه وتعالى- وتحكمه في مقاليد الأمور ؛ فكل شيء يسير بقدر الله تعالى، والتنوع في صياغة الأسلوب هكذا هو الذي يتوافق مع عقيدة التوحيد.

---

١ – الإسراء: ٢٣.

وبالتأمل في هذه الوصية نلحظ آداباً ربانية فرب العزة يعلمنا ألا نمن على أحد ؛ إذ الأبناء جزء من عطايا الله فلا ينبغي مجرد طلب رد المعروف على التربية ، حتى ولو بطلب طاعتهما أو برهما؛ ولما كان لقمان أحد الأطراف المعنية بالوصية تدرجت المعاني ؛ فبعد الاستجابة لمعنى الوصية الأولى والاطمئنان إلى سلامة العقيدة كانت الوصية الثانية من رب العزة وهي متصلة بالوصية الأولى؛ فمن اطمئن إلى الأولى لزمه اتباع أوامر الله– سبحانه وتعالى – في الوصية الثانية وما فيها من طاعة للوالدين، وكأن المولى سبحانه وتعالى يجنب الأبوة ما يجتنبها من حرج في طلب طاعة الأبناء. فهي وصية الخالق للمخلوق؛ لذا اتسمت الوصاية بالطابع الخبري تم فيها عرض أسباب وجوب طاعة الوالدين والإحسان إليهما.

اتسمت البلاغة القرآنية في عرض هذه المعاني والتعبير عنها بذكر الخاص بعد العام. في جمع الوالدين سوياً، والخاص في عرض دور الأم وما تكبدته من عناء حتى يخرج الولد إلى الدنيا وتخطوا أقدامه خطواتها الأولى فوق الأرض ففي الآية إطناب لتأكيد دور الأم. ولعل تخصيص دور الأم نتاج لواقع يحياه الجميع؛ إذا الأب هو الركن القوي الذي يعتمد عليه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [1] وما هذه القوامة إلا لدور الأب المسلم به من تحمل العناء في إسعاد الأسرة، وحمايتها، وتوفير مصدر عيش كريم لها، لكن كما عاهدنا في الأساليب القرآنية تهتم بالضعيف وتبرز دوره وتنبين أثره في البنيان الإنساني ؛ فإذا كانت القوامة للرجل، فهناك دور للمرأة

١ – النساء: ٣٤.

لا يستطيع أحد إنكاره وهو ما عانته من حمل ووضع ورضاعة وتنشئة ورعاية في الصغر لا يقوى عليها إلا قلب حنون جبل على العطف والحنان يجعلها تتحمل الصعاب من أجل الصغار؛ فالدور الأعظم للمرأة في مرحلة الصغر تلك المرحلة التي تكون خارج دائرة التمييز للصبي؛ لذا حفظ رب العباد لها دورها وضمن مكانتها فلا يشك في قدرها أحد فهي ضعيفة في بنيتها الجسدية تحمل ضعيفا هو الجنين في رحمها لذا عبر القرآن بحقيقة لغوية وواقعية متمثلة في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1]. وقد حدد القرآن مدة الرضاعة بعامين "وزيادة مدة الإرضاع لا تخلو من جوانب ضارة بالطفل. فقد حدد الخالق العليم – جل في علاه– تمام الرضاعة بحولين كاملين، فما نقص عن التمام فهو نقصان وما زاد عن التمام فهو نقصان أيضاً، وهو لا يخلو من الضرر"[2]. و لا يخلو الأمر من تعرض المرأة للضعف والوهن بسبب ما تمر به في فترات الحمل والولادة والرضاعة هذا بالإضافة إلى الضعف الذاتي في البنية الجسدية، وأوضحت التجارب العلمية أنّ الأُمّهات في فترة الحمل يصبن بالضعف والوهن؛ لأنّهنّ خلاصة غذائهن يسهم في تغذية وتنمية الجنين، لذا؛ فإنّهن يتحملن نقص أنواع الفيتامينات المختلفة، ويترتب على عدم تعويضها آلام ومتاعب كثيرة للأم

١ – لقمان: ١٤.

٢ – إعجاز القرآن الكريم في مدة الرضاعة ونوعيتها، د. فهمي مصطفي محمود، المؤتمر العلمي الثامن في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، كلية الصيدلة، جامعة الزيتون الأردنية، عمان، الأردن، صـ ١٨٣.

[1]. " ونقل الحارث المحاسبي إجماع العلماء على أن الأم تفضل في البر على الأب وحكى القاضي عياض خلافاً في ذلك؛ فقال الجمهور بتفضيلها، وقال بعضهم يكون برهما سواء، والصواب الأول لصحة الأحاديث في هذا المعنى"[2].

و" حَمَلَتْهُ أُمُّهُ " يعني الله على العبيد نعمة الإيجاد ابتداء بالخلق ونعمة الإبقاء بالرزق وجعل بفضله للأم ما له صورة ذلك وإن لم يكن لها حقيقة فإن الحمل به يظهر الوجود وبالرضاع يحصل التربية والبقاء فقال حملته أمه أي صارت بقدرة الله سبب وجوده وفصاله في عامين أي صارت بقدرته أيضاً سبب بقائه فإذا كان منها ما له صورة الوجود والبقاء وجب عليه ما له شبه العبادة من الخدمة، فإن الخدمة لها صورة العبادة فإن قال قائل وصى الله بالوالدين وذكر السبب في حق الأم فنقول: خص الأم بالذكر وفي الأب ما وجد في الأم فإن الأب حمله في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين فهو أبلغ وقوله (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ) لما كان الله تعالى بفضله جعل من الوالدين صورة ما من الله فإن الوجود في الحقيقة من الله وفي الصورة يظهر من الوالدين جعل الشكر بينهما فقال (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ) ثم بين الفرق وقال (إِلَيَّ الْمَصِيرُ) يعني نعمتهما مختصة بالدنيا

١ – ينظر ذلك في: إعجاز القرآن الكريم في مدة الرضاعة ونوعيتها، د. فهمي مصطفي محمود، كلية الصيدلة جامعة الزيتونة الأرنية، من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة الكويت ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، صـ ١٧٥، و موقع الموسوعة القرآنية https://quranpedia.net/ar .

٢ – علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية " دراسة فقهية مقارنة" د. سعاد إبراهيم صالح، دار التعاون، الطبعة الثالثة، صـ٣٨.

ونعمتي في الدنيا والآخرة فإن إلي المصير أو نقول لما أمر بالشكر لنفسه وللوالدين قال الجزاء على وقت المصير إلي"[١].

وقد آثرت البلاغة القرآنية حرف الباء في بـ "بوالديه" على غيره من الحروف "على"؛ لما في معنى الباء من الإلصاق الذي هو أنسب في العلاقة بين الولد وأبويه، وأنه مهما ارتفع شأنه لا يعلوا عليهما.

وقد كان لجملة الشرط دورها في آداء المعاني في قوله تعالى:(وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)[٢]. هذه الطاعة التي أمر بها الإسلام للوالدين وما لهما من منزلة

---

١ – التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، ج٢٥، صـ ١٢٩

٢ – سبب نزول هذه الآية: قالوا: إن هذه الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص، الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خالي سعد، فليُرني امرؤ خاله» ولما أسلم سعد غضبت أمه– وكانت شديدة الحب له فكادت تُجَنُّ وحلفتْ لا تأكل ولا تشرب ولا تغتسل، وأنْ تتعرَّى في حَرَّ الشمس حتى يرجع دينه، فلما علم سعد بذلك قال: دعوها والله لو عضَّها الجوع لأكلتْ، ولو عضَّها العطش لشربتْ، ولو أذاها القمل لاغتسلتْ، أما أنا فلن أحيد عن الدين الذي أنا عليه، فنزلا: {وَإِن جَاهَدَاكَ..}. ينظر شرح الزركشي على مختصر الخرقي، تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي، تحقيق: قدم له ووضع حواشيه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، الطبعة: الأولى، ج٣، صـ١٦٨. الأحكام الشرعية الكبرى، تأليف: أبو محمد عبد الحق الإشبيلي، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، ج٣، صـ ١٩٠.

وقدر ليست طاعة عمياء وإنما في إطار الشريعة الإسلامية ، وفيها دعوة حقيقة إلى إعمال العقل والتفكر والتدبر في كل ما يقال وما يفعل؛ لذا كان لأسلوب الشرط دوره في إبراز المعاني وبيان أثرها في النفوس؛ فإذا كانا هما السبب الثاني لوجودك في هذه الدنيا فالواجد والخالق هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد، فطاعتهما تقف عند أمرهما لك بمعصية الله – سبحانه وتعالى– وعدم الطاعة لا يعني الفراق وإنما يعني المصاحبة بالمعروف بكل ما يقتضيه اللفظ من تواصل «كما أفاد أسلوب الشرط أيضًا التوازن الموسيقي والتآلف الإيقاعي بين جملتي فعلي الشرط والجواب، ليثير انتباه القارئ، ويحرك عواطفه ومشاعره»[١].

ونتأمل جمال الإيجاز في قوله: "واتبع سبيل من أناب إلي" فإذا كانا الوالدين من المنيبين إلى الله فلتتبع سبيلهما وإلا فلا يطاعا ولتتبع سبيل غيرهما ممن أناب إلى الله؛ لأنه ليس لمخلوق حق في معصية الخالق.

ويقول الله تعالى في نهاية الآية بنبرة لا تخلو من التهديد والعتاب: (إليّ المصير). "نعم، فإنّك إذا قصّرت هنا فستحاسب على كلّ هذه الحقوق والمصاعب والخدمات بدقّة فيجب على الإنسان أن يؤدّي ما عليه من شكر مواهب الله. وكذلك شكر نعمة وجود الأبوين وعواطفهما الصادقة الطاهرة لينجح في ذلك الحساب وتلك المحكمة " [٢].

١ – التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، د. على علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م، صـ٩٦.

٢ –https://www.hodaalquran.com موقع هدي القرآن.

الأضواء البلاغية على الوصية الثالثة: بيان صفة العلم في حق الله – سبحانه

وتأتي الوصية الثالثة من لقمان لابنه في قوله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾

الفرق واضح بين الوصية الثانية تلك الوصية الربانية والوصية الثالثة التي هي نداء وتودد وترقق من الأب لابنه يأخذ فيها بيده إلى بيان صفة من صفات الله – سبحانه وتعالى – صفة العلم المطلق الذي لا تحده حدود؛ فهو علم اللطيف الخبير، والتناسب والائتلاف بين الألفاظ أسهم في قوة العبارة؛ حيث مراعاة النظير[1]؛ فاللطيف يناسب كون المثقال حبة في صخرة أي في موضع يدق ويصعب الوصول إليه ويحتاج إلى دقة في استخراجه، وكونه في السموات أو في الأرض أي المتسع يناسب الخبير؛ فهو العالم بكل الأمور دقائقها وعظامها وقد اتكأ التعبير على الأسلوب الخبري لما يحمله من قوة في عرض المعاني؛ فهي مقدمات تتبعها براهين.

وتساءل بعض المفسرين وقال: كيف ذكر اللَّه السماوات والأرض بعد أن ذكر الصخرة مع العلم بأن الصخرة لا بد أن تكون في الأرض، لا في السماء.

وأجابه آخر بأن هذه الصخرة ليست في السماء ولا في الأرض، وانما هي تحت سبع أرضين، وبالضبط هي نفس الصخرة التي يقف الثور عليها

١ – مراعاة النظير هو: أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه، لا بالتضاد. بغية الإيضاح، الجزء الرابع، صـ٥٨٢. مرجع سابق.

وهو يحمل الأرض على قرنه، وقال قائل: كلا، ان هذه الصخرة قائمة في الهواء بمحض خلق اللَّه تعالى. وقال ثالث: هي خضراء اللون [1].

الأضواء البلاغية على الوصايا: الرابعة والخامسة والسادسة :

وتأتي الوصايا الرابعة والخامسة والسادسة في صورة موجزة في قوله تعالى﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾

" تابع لقمان طريقته في النداء والتلطف والتودد في الخطاب معدداً لأربع وصايا بصورة موجزة هذه الوصايا هي: إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على المصائب، وهذه الوصايا اعتمدت على أساليب الإنشاء الطلبي فكانت صيغة الأمر بمعناها المجازي وهو النصح والإرشاد. هذه الوصايا هي ممارسة العقيدة وتمثلها؛ فقد انتقلت من حيز الصدر والوقور في القلب المتمثل في قوله تعالى:(يا بنى لا تشرك بالله) إلى العمل بمقتضاها والإقبال على أفعالها.

"بدأ لقمان أوامره لولده بإقامة الصلاة، لأنه مُكلَّف بهذا الأمر، فولده ما يزال صغيراً بدليل قوله (يا بني أقم الصلاة) ، فالتكليف هنا من الوالد، فإنْ كان الولد بالغاً حال هذا الأمر فالمعنى: "لاحظ التكليف من الله بإقامة الصلاة، وقرنت الزكاة بالصلاة في القرآن إلا في هذا الموضع، ولما تتأمله

١ – ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج٢١، صـ٨٨. تفسير البغوي، تأليف: البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار النشر: دار المعرفة – بيروت، ج٣، صـ٤٩٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـ، ج٢١، صـ٧١.

تجده من دقائق الأسلوب القرآني، فالقرآن يحكي هذه الوصايا عن لقمان لولده، ولنا فيه ملحظان: الأول: أن الله تعالى لم يكلِّف العبد إلا بعد سِنِّ البلوغ إلا في الصلاة، وجعل هذا التكليف مُوجهاً إلى الوالد أو ولي الأمر، فأنابه أن يكلف ولده بالصلاة، وأن يعاقبه إنْ أهمل في أدائها، ذلك ليربي عند ولده الدُّرْبة على الصلاة، بحيث يأتي سِنّ التكليف، وقد ألفَها الولد وتعوَّد عليها، فهي عبادة تحتاج في البداية إلى مران وأخذ وردَّ، وهذا أنسب للسنَّ المبكرة.

والوالد يُكلف ولده على اعتبار أنه الموجد الثاني له، والسبب المباشر في وجوده، وكأن الله تعالى يقول: أنا الموجد لكم جميعاً وقد وكَّلتُك في أنْ تكلِّف ولدك؛ لأن معروفك ظاهر عنده، وأياديك عليه كثيرة، فأنت القائم بمصالحه المُلَبِّي لرغباته، فإنْ أمرته قَبِل منك واطاعك، فهي طاعة بثمنها.

وطالما وكلتك في التكليف فطبيعي أنْ أُوكِّلك في العقوبة، فإنْ حدث تقصير في هذه المسألة فالمخالفة منك، لا من الولد؛ لأنني لم أُكلِّفه إنما كلَّفْتُك أنت.

لذلك بدأ لقمان أوامره لولده بإقامة الصلاة، لأنه مُكلَّف بهذا الأمر، فولده ما يزال صغيراً بدليل قوله (يا بني أقم الصلاة)؛ فالتكليف هنا من الوالد، فإنْ كان الولد بالغاً حال هذا الأمر فالمعنى: لاحظ التكليف من الله بإقامة الصلاة.

أما الزكاة، وهي تكليف من الله أيضاً فلم يذكرها هنا– وهذه من حكمة لقمان ودقَّة تعبيره، وقد حكاها لنا القرآن الكريم لنأخذ منها مبادئ نعيش بها.

ثانياً: إنْ كلَّفه بالزكاة فقال: أقم الصلاة وآتِ الزكاة فقد أثبت لولده ملكية، ومعروف أن الولد لا ملكيةَ له في وجود والده، بدليل قول الرسول

صلى الله عليه وسلم: «أَنْتَ وَمَالُك لِأَبِيك»[١]وذكرنا أن لقمان لما علم بموت أبيه قال: إذن ملكتُ أمري فأمره ليس مِلْكاً له في حياة أبيه؛ لذلك لم يأمر ولده بالزكاة، فالزكاة في ذمته هو، لا في ذمة ولده"[٢].

كذلك كان للمقابلة [٣] دورها في البلاغة القرآنية في قوله تعالى: (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَر) ؛ ففي الجمع بين الأمر وضده استدعاء للحواس، وإعمال للعقل لإدراك الصلات بين الألفاظ وما تمنحه المعاني من قوة وتأثير، وكما قال الشاعر:

فَالوَجْه مِثْلُ الصُّبْح مُبيضٌ * والشَّـعْر مثْل اللَيْل مُسْوَدٌ**

ضِدَّانِ لما اسْتجْمعَا حَسُناَ * والضِّد يُظْهِر حُسْنَهُ الضِّـدُّ** [٤]

وكان للترقي [٥] دوره في هذه الوصايا فقد بدأ الأب يوصي ابنه بإقامة الصلاة التي صلة بين العبد وربه نداء موجه إلي العبد خمس مرات ليجدد فيها العهد مع ربه ، وتطمئن نفسه وتنقطع عن ضغوط الحياة، ففيها ارتقاء بالنفس، وتنقية للروح بصورة مستمرة، فهي رياضة وصحة للروح والجسد معا، تبعها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فالمحافظة على

١ – المدونة، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الإصبحي المدني (ت: ١٧٩هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، ج٤صـ ٤١٠.

٢ – تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي، الجزء ٢١، سورة لقمان. –http://www.al-eman.com.

٣ – المقابلة هي: أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب. بغية الإيضاح، ج٤، صـ٥٨٠. مرجع سابق.

٤ – ديوان علي بن جبلة، تحقيق :د. حسين عطوان دار النشر :دار المعارف، لطبعة الثالثة، صـ١٦٦.

٥ – الترقي هو: أن نذكر معنى ثم نردف عليه بما هو أبلغ منه. فن البديع، د. عبد القادر حسين، دار الشروق، سنة النشر ٢٠٠٢م، صـ١٠٨.

الصلاة تجنب الابن كل المخاطر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [١] لكن تغلب على الأب روح الأبوة؛ لذا يتبع الأمر بإقامة الصلاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر عند المصائب من باب قوله تعالى:﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢].

وفي الأمر بإقامة الصلاة ما يدل على صغر سن الابن لأنها عبادة لا يشترط فيها إلا التميز وهى موكوله للأبوين في التربية مصداقاً لحديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»[٣].، "وأوصى بالصبر بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الذي يتعرض لهذين الأمرين لابد أن يصيبه سوء من جراء أمره بالمعروف أو نَهْيه عن المنكر، فإنْ تعرضتْ للإيذاء فاصبر؛ لأن هذا الصبر يعطيك جزاءً واسعاً"[٤].

---

١ – العنكبوت: ٤٥.

٢ – الذاريات: ٥٥ .

٣ – سنن أبي داود – أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني – كتاب الصلاة – باب متى يؤمر الغلام بالصلاة – حديث رقم (٤٩٥) عن عمرو بن شعيب – المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد– الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

٤ – تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي، الجزء ٢١، سورة لقمان. –http://www.al-eman.com

وقوله: (إن ذلك من عزم الأمور) إشارة إلى جميع ما تقدم **من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإشارة بالبعيد للتعظيم.**

الأضواء البلاغية على الوصايا: السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة:

وتتوالى النواهي والأوامر بهدف النصح والإرشاد فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ (١٨)). وهذا تدرج آخر للوصايا وهو التدرج إلى صفات المسلم وما ينبغي أن يكون عليه؛ فهي نصائح الأب الساعي إلى كمال التربية على كافة المستويات؛ ينهاه عن التكبر على الناس، والاختيال في المشي؛ فهذه الأمور لا يحبها الله، وإذا كان الأمر كذلك فمما لا شك فيه أن هذه الأمور تبغضه عند الناس؛ فضابط الحياة الإنسانية السوية تكمن في علاقة الإنسان مع ربه. والحياة ليست متعلقة بـ "لا تفعل" فقط؛ لذا تبعها بأوامر للنصح والإرشاد، وإذا كانت متطلبات الحياة تستلزم السعي والتعبير عن المطلوب، فيرشد الأب ابنه أن يكون هذا السعي في حيز الاعتدال فحدد له الكيفية التي يحقق بها متطلبات حياته ويعتمد الأب على التعليل لكل ما يأمر به أو ينهي عنه، وهذا منهج حياة رسمه الإسلام لاستواء النفس البشرية، وفي التنفير من الصوت العالي استعان بصوت الحمير وما ذاك إلا لما يتميز به وسط الحيوانات من صوت مرتفع منفر.

وفي قوله تعالى:(ولا تصعر خدك للناس) "تصعير الخد إمالته وهذا كناية إما عن التكبر بالإعراض احتقاراً، وإما عن إذلال المرء نفسه للناس"[١].

ومن اللفتات الجميلة في التعبير القرآني المتعلقة بالبلاغة القرآنية، أنه لما كان النهي يخص المعنويات ودواخل النفس البشرية فيما يخص التكبر والاختيال علل سبب النهي بأن الله لا يحب كل مختال فخور، وفي الآية الثانية الأمر متعلق بأمور مادية هي السعي لطلب الرزق وما يتعلق به من حديث وحوار، كانت العلة في طلب القصد في المشي والغض في الصوت هو كون أنكر الأصوات صوت الحمير وهو كائن نراه ونعرفه ملموس لدى الجميع ؛ فقد كان للتشبيه الضمني[٢] دوره في التنفير من الصوت العالي ونلحظ أن التشبيه خصص بمجال محدد وهو المجال الصوتي؛ فالإنسان الذي يرتفع صوته ويتجاوز حد الاعتدال فقد انتقل بصوته وأخرجه من دائرة الإنسانية إلى دائرة الحيوانية متمثل في أكثر الأصوات المنفرة للحيوانات وهو صوت الحمار؛ فالتلطف والتودد في الحوار، والهدوء والغض من

١ – المعجم الاشتقاقي لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، صـ ٥٣٣

٢ – التشبيه الضمني هو: ما لا يكون التعبير فيه نصاً في التشبيه، وإنما بنيت العبارة عليه، وطوته وراء صياغتها، فأنت تراه هناك مضمراً مكتوماً كما تقول: هو أقطع من سيف. التصوير البياني دراسة تحليله لمسائل علم البيان، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣م، صـ٩٠.

الصوت دلالة على صفاء النفس ، وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : «تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ» [1].

– ونلحظ في حوار لقمان مع ابنه دقة وحرصاً على تربية سوية معتمدة على خطاب العقل تاركاً للتأمل والاستنباط مجالاً، كذلك نلحظ الإيجاز في العبارة، والتنوع في الأسلوب، والالتزام في الحوار؛ فقد اعتمد الحوار على مقدمات ونتائج –أسباباً وعللاً – وعلى الرغم من الإيجاز إلا أن العبارات واضحة محددة المعاني غير قابلة للاحتمال، ونثرت الفنون البلاغية في الحوار بقدر يتناسب والمعاني، وساد الحوار هدوءً؛ ليكون أقرب للقبول فقد كان حوارا هادئاً، لعبت فيه البلاغة دورها وحققت مقصدها ودارت في مرماها حيث النفس البشرية وما يشغلها من فكر، فرسمت لنا خطوطاً ووضعت نقاطاً يمكننا السير عليها في تربية الأبناء والوصول بهم إلى الخط المستقيم وعبور مراحل هامة في الحياة البشرية بنشء مستقيم قوي قادر على مواجهة خطوب الحياة ورفع راية الإسلام مما يؤكد إنسانية العلوم البلاغية وتعلقها بالذات البشرية؛ فهى تخترق النفس وتبحث عن خباياها وتعالج عللها وتجبر كسرها.

****

١ – مختصر صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري للمنذري تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية – بيروت – لبنان الطبعة السادسة،١٤٠٧هـ –١٩٨٧م، ج٢صـ٤٧٤.

المبحث الثاني: بلاغة حوار نوح عليه السلام مع ابنه

بعد الانتهاء من حوار لقمان لابنه الذي كان على هيئة وصية تضمن للولد صلاح أمور دينه ودنياه ومرآة صادقة لمشاعر الأبوة تميزت عباراتها بالإيجاز والدقة في العبارة والبراعة في الصياغة وتنوع الأسلوب ما بين الخبر والإنشاء خاطب العاطفة وأقنع العقل. ننتقل الآن إلى حوار جديد يأخذ شكلاً مختلفاً عن الحوار السابق هو الحوار القائم على النقاش والجدل بين نبي الله نوح – عليه السلام– وابنه، بين أب مسلم وابن جاحد يصر على الكفر والعناد حتى في أحلك اللحظات تلك اللحظات الفاصلة بين الحياة والموت؛ لنرى من خلاله الاختلاف بين طوائف المتلقين؛ فالشارع في الحوار في كلا الحالتين الأب وهو الطرف الأول، والطرف الثاني هم الأبناء. وكعادة الأبناء على اختلاف الأزمنة وتعدد الأمكنة تختلف طباعهم فمنهم البار ومنهم العاصي؛ لذا عرض لنا القرآن صوراً مختلفة ومتعددة ليرشدنا إلى الطرق الصحيحة للتعامل معهم؛ فهذا ابن نوح – عليه السلام– ابن عاص لوالده الذي هو نبي من أنبياء الله نوح –عليه السلام– ذلك الأب الذي لم ييأس من هداية ابنه حتى فرقهما الموت، فلم يتبرأ منه، ولم ينبذه أو يتركه لأصحاب السوء، وإنما برأه منه الله بعد موته وكأنها رسالة إلى كل أبوين ألا ييأسوا من هداية الأبناء ما داموا على ظهر البسيطة؛ فقد يأتي بعد العسر يسرا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴾ [1].

١ – هود: ٤٢ – ٤٣ .

بعد أن أكمل نوح صنع السفينة التي أمره الله – سبحانه وتعالى بصنعها، وحمل فيها من كل زوجين اثنين وحانت اللحظة المنتظرة لحركة السفينة، وأن يقضي الله أمراً كان مفعولا أخذت البلاغة القرآنية في تصوير الأحداث أدق تصويرا آخذا بقلب وعقل القارئ داعياً إياه إلى التأمل والتدبر متناسياً فوارق الزمن جاعلاً الأحداث وكأنها تحدث الآن. لنتأمل لفظ (تجري) عبر عن الماضي بالفعل المضارع ففيه خروج عن خلاف مقتضي الظاهر؛ لاستحضار الحالة ولنقل القارئ إلى موقع الأحداث ومعايشتها والإحساس بأدق تفاصيلها؛ حتى تترك أثراً في نفسه يحمله على الحكم الصحيح والتثبت مما هو عليه؛ فالبلاغة القرآنية تخطت حدود الزمان والمكان وهذا من أهم أسباب الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم. وقد قدم المسند إليه(هي) على الخبر الفعلي لتقوية الحكم وتمكن الخبر في ذهن السامع (تجري بهم) وقد رأينا ما في الخبر الفعلي من تجاوز لحدود الزمن.

أبدعت البلاغة القرآنية في رسم صورة تتموج فيها الحركة؛ هيئة سفينة من صنع البشر – نبي الله نوح– عليه السلام– تجري في موج ليس كأي موج وإنما يشبه في قوته وارتفاعه الجبال في ارتفاعها وقوتها.

واقتصار الصورة التشبيه على بيان ارتفاع الموج وتصويره بالجبال ليس كافياً وانما هي صورة كلية تصف سفينة ضخمة قوية تتناسب والغرض الذي صنعت من أجله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [1] هذه السفينة تجري في أجواء متقلبة موج مرتفع يشبه الجبال في ارتفاعها وحركتها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَرَى

١ – هود: ٤٠.

ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[١].

"ولهذه الآية دلاله: أما الحقيقة الأولى التي نستخلصها من هذه الآية هي أن الناظر إلى الجبال يظن أنها جامدة أي ساكنة لا تتحرك أبدا وهذه حقيقة لا ريب فيها أبدا فلا يمكن لأحد من البشر أن يحس بحركة الأرض ولا يمكن لهم كذلك قياس سرعتها بأي جهاز مهما بلغ تعقيد تركيبه.

أما الحقيقة الثانية فهي التأكيد على أن الجبال ليست ساكنة بل هي متحركة لقوله تعالى "وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ" وهذه هي الحقيقة التي لم يتمكن البشر من اكتشافها إلا بعد مرور ما يقرب من ألف عام من ذكر القرآن الكريم لها. إن اختيار الجبال كمثال للتدليل على حركة الأرض هو اختيار في غاية الحكمة فلو راقب مشاهد حركة الأرض من على ظهر القمر أو من على ظهر مركبة فضائية فإن الجبال البارزة من سطح الأرض هي وحدها التي تكشف عن حركة الأرض حول محورها ففي غياب علامات واضحة على سطح الأرض فإنه من الصعب اكتشاف مثل هذه الحركة. ولكي يوضح الله سبحانه وتعالى للبشر كيف يمكن للشيء أن يبدو ساكنا في أعين الناظر له وهو في الحقيقة في حركة دائمة ضرب لهم مثلا في ظاهرة مماثلة وهي حركة السحاب في السماء"[٢].

إذاً تشبيه الموج بالجبال صورة أضفت عليها الحركة المضطربة القوية تأثيراً يعكس أثر هذا الأمر على النفس البشرية وما أصابها من اضطراب على فراق الأقارب ممن رفضوا الصعود على السفينة والإيمان

١ – النمل: ٨٨.

٢ – https://quran-m.com/ موقع اعجاز القرآن والسنة.

بنبي الله نوح –عليه السلام–، مثل هذا الاضطراب النفسي الحوار الآتي بين نبي الله نوح وابنه؛ الذي سنرى فيه حسم الأمر من رب العزة وبيان حقيقة الأهل والرابط الحقيقي الذي يجب الانتماء إليه.

ويواصل القرآن الكريم بيان أحداث هذا المشهد العظيم مبيناً تفاصيله قال تعالى:" ونادى نوح ابنه وكان في معزل" "وابن نوح هذا هو ابن رابع في أبنائه من زَوج ثانية لنوح كان اسمها (واعله) غرقت، وأنّها المذكورة في آخر سورة التحريم. قيل كان اسم ابنه (ياماً) وقيل اسمه (كنعان) وهو غير كنعان بن حام جد الكنعانيين. وقد أهملت التوراة الموجودة الآن ذكر هذا الابن وقضية غرقه وهل كان ذا زوجة أو كان عزباً "[1].

وبين القرآن حال ابنه أنه كان في معزل أي لم يكن مع من ركب على السفينة " وجملة (وكان في معزل) حال من (ابنه). والمعْزل: مكان العزلة أي الانفراد، أي في معزل عن المؤمنين إمّا لأنه كان لم يؤمن بنوح عليه السلام فلم يصدق بوقوع الطوفان، وإما لأنّه ارتد فأنكر وقوع الطوفان فكفر بذلك لتكذيبه الرسول "[2]. وقد آثرت البلاغة القرآنية التعبير بحرف الجر "في"؛ لتفيد تمكنه في عزلته عن المؤمنين.

وفصل جملة" يا بني اركب معنا" لكونها عطف بيان لجملة " ونادى نوح ابنه" فبينهما كمال اتصال.

ونلحظ التلطف في النداء على عادة ما رأينا فيما سبق من نداء الآباء وكأنها فطرة فطر الآباء عليها وتبع أسلوب النداء أسلوب أمر الغرض منه النصح والإرشاد.

١- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر- تونس-، ١٩٨٤م، ج١٢، صـ٧٥.

٢- المرجع السابق، ج١٢، صـ٧٥.

هذا الأمر الذي يحمل في طياته النصح والإرشاد كان دعوة للابن باتباع أبيه والإيمان بعقيدته وعقب الأمر النهي في قوله تعالى:(ولا تكن مع الكافرين) والأب في كلا الحالتين – افعل ولا تفعل– ناصحاً مرشداً؛ فالإنشاء الطلبي أخذ بزمام التعبير القرآني ما بين نداء، وأمر، ونهي، وقد أثرت البلاغة القرآنية النداء بحرف النداء " يا" لاختصاصها بنداء البعيد وهي في حقيقة موقعها فمكان الابن يبعد عن مكان الأب؛ الأب في السفينة والابن خارجها يجرفه الموج. "تتميز الصوائت الطويلة بمجموعة من السمات منها: الجهر والوضوح السمعي، واتساع مجرى الهواء وعدم وجود عائق عند النطق بها"[١].

– ومن اللطائف البلاغية ما نلحظ من مفارقات في التعبير بين " في، ومع" في قوله تعالى:" وهو في معزل" وبين قوله تعالى:" ولا تكن مع الكافرين" في الحالة الأولى هو متمكن خارج السفينة؛ لذا وقعت "في" في موقعها، أما الحالة الثانية فتحمل أمل الأب في تغير اتجاه الابن؛ لذا نهاه عن تواجده مع الكافرين، وليس فيهم.

ويرسم لنا التعبير القرآني المفارقات بين مشاعر الأبوة ومشاعر البنوة ويعبر بألفاظ تنطق بدلالات نفسية؛ حيث أجاب الابن على الأب بقوله:" سآووي إلى جبل يعصمني من الماء" بينما قلب الأب يعتصر حسرة ولم ينقطع أمله بعد فيتلطف في النداء" يا بني"؛ حيث حرص الأب كل الحرص على ولده معترفا ببنوته على الرغم من عصيانه في موقف فرق فيه بين الكفر والإيمان لم ينقطع أمله في هذه اللحظات من ولده؛ فثمة مشاعر قوية تعصف

١ – الدلالة النفسية في سورة نوح، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية، بنين بجرجا، د. مروة محمد عبد العظيم عبد العزيز، العدد الخامس والعشرون، ١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م، صـ ٦٢٦٤.

بعاطفة الأب؛ فهو بين الأبوة والنبوة. أما رد الولد ففيه دلالة الجحود لم نري أي مشاعر توحي بتأثر الولد بنداء الأب فلم يُسمع أباه لفظ يا أبت على خلاف نداء الأنبياء لآبائهم كنداء ابراهيم– عليه السلام – لأبيه ولم يكن على ملته قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴾ [1] .

فهذا هو الأدب القرآني في الحوار وما ينبغي أن يكون في العلاقات الإنسانية، حتى لو على غير العقيدة؛ فالاحترام وتبادل الحقوق ورعاية الواجبات أمور حث عليها الإسلام. ورد إسماعيل – على أبيه إبراهيم – عليهما السلام – فيقوله تعالى :﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [2]، فهل بعد هذا الموقف شدة، نرى فيه إسماعيل – عليه السلام– يقر بأبوة أبيه الذي يقص عليه ما رأى في المنام من ذبحه ورؤيا الأنبياء حق، ولكنها الطاعة والانقياد والثقة في الأب الذي يتبع تعاليم الله فهو نبي الله إبراهيم – عليه السلام– ، وكذا حوار يوسف مع أبيه في أمر عرض له هو طفل تلك الرؤيا التي قصها على أبيه نبي الله يعقوب – عليه السلام– وصورها القرآن الكريم. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ [3]

١ – مريم: ٤٣.

٢ – الصافات: ١٠٢.

٣ – يوسف: ٤.

وحوار نبي الله يوسف – عليه السلام– مع أبيه يعقوب عليه السلام تعلمنا أن الحوار يبدأ منذ الطفولة فلا يرجئ الأبوين الحوار إلى الكبر أو البلوغ وإنما ينبغي أن يربى عليه الصغير ويتعاده. وهذا نبي الله شعيب يستمع لإحدى بناته ويستجيب لها ومثل القرآن الكريم هذا الحوار قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[1]، فلم يفرق القرآن في إرساء آداب الحوار بين الذكور والإناث؛ فجعل للبنت رأي يحترم ويؤخذ به إذا وافق الصواب، فهي شريكة في الحوار ولها الحق في ابداء الآراء مع التزام بالأدب في لغة الحوار.

ونعود إلى المشهد في قصة نبي الله نوح – عليه السلام– مع ابنه، أراد الولد العاصي أن يحتمي من الطبيعة في الطبيعة فلا غرابة أن تكون الطبيعة نفسها هي وسيلة القضاء عليه – سبحان من إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون – ومازال الحوار ممتداً بين نوح – عليه السلام– وابنه في لحظات عصيبة على الأب مصحوبة بالأمل في الهداية، يقابلها الابن بعناد يقوده إلى الهلاك.

بعد الرد الجافي من الابن على أبيه أتى الأب بالقول الفصل بأنه لا مجال إلى النجاة إلا برحمته – سبحانه وتعالى– وبهذا اسدل الستار على الحوار بين الأب وابنه ؛ فقد استنفذ سبل الاقناع وعاد إلى نقطة البداية في قوله تعالى:" يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين" فالابن معاند معتقد في كفره وضح ذلك في مضمون رد ابن نوح عليه ؛ فقد أسقط صفة الأبوة التي توجب للأب الكثير من الحقوق وتلزم الإبن بها، كذلك أقر بإيمانه بقوى يعتقد فيها القوه –الجبال– التي هي جزء من الطبيعة التي هي جزء من

١ – القصص: ٢٦.

خلق الله – سبحانه وتعالى– لما أحس الأب بما يضمره الابن بين له فساد ما يعتقد في القوى الأخرى مستعيناً بأسلوب القصر [1]عن طريق النفي والاستثناء في قوله تعالى:" لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم"؛ فالنجاة لا تكون إلا لمن نال رحمة الله – سبحانه وتعالى– واتبع سبيل الهدى.

ونلحظ انتهاء الحوار بين الأب والابن بالرحمة في قوله تعالى: " إلا من رحم" ويكون أخر لفظ يوجهه الأب لابنه، وهو يعكس دلالة نفسية يظهر مشاعر الأبوة الفطرية التي لا يتمكن الآباء من إخفائها وإن حاولوا تأبي الطباع على الناقل، قال الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما * * * جعل اللسان على الفؤاد دليلا [2]

مهما كان من الأبناء من جحود وعناد وعصيان فلابد أن يقابلها الآباء بالرحمة وهذه مشاعر فطرية أدتها البلاغة القرآنية في قصة أب مع ابن كافر مطمئن لكفره متماد فيه اتبع سبيل الضلال، هذه العلاقة المضطربة غير السوية عبرت عنها البلاغة القرآنية بأسلوب يتناسب معها فرأينا أمواجا عالية كست الجبال هلك بسببها كل من خالف العقيدة السوية.

١ – القصر هو: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص. خلاصة المعاني، للحسين بن عثمان بن الحسين المفتي، (ت: ١٠٥٩) تحقيق د. عبد القادر حسين، الناشرون العرب، صـ ٢١٩.

٢–البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني أبو عثمان الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال – بيروت–،١٤٢٣هـ، ج١صـ ١٨٧.

المبحث الثالث: بلاغة حوار يعقوب عليه السلام مع بنيه

تعد سورة يوسف معيناً خصباً للغة الحوار؛ فهي تحكي قصة الآباء مع الأبناء وخاصة إذا كانوا ليسوا بأشقاء؛ لذا تعد هذه القصة أصل من أصول التربية، وبيان لفطرة الأبناء وما ينتابهم من غيرة، التي هي في الأصل تعبير عن محبة للوالد ولكنها مشوبة بأنانية، يريد فيها الأبناء الاستئثار بمحبة الأب ويرون أن اشراك الأب المحبة مع يوسف الذي هو أخ لهم من الأب فقط تفضلاً ليوسف عليهم، وهذا من وجهة نظرهم. فصلت سورة يوسف الأحداث معتمدة على الحوار بين الأب ويوسف وكذلك بين الأب وأخوة يوسف – عليه السلام–.

بلاغة الحوار في رؤيا يوسف – عليه السلام–:

ابتدأ الحوار بما قصه الابن – يوسف عليه السلام– على أبيه – يعقوب عليه السلام– ففيه ملمح لنا معشر المسلمين الذين تشربوا من بلاغة القرآن الكريم وحسن منطقه واستفادوا منه في حياتهم، وعملوا بمحتواه فضمنوا سعادة الدارين؛ حيث إنه في مرحلة عمرية يتوافد الأبناء ليقصوا على الآباء كل ما يعن لهم حتى ما يدور في خلدهم ويكون رد فعل الآباء الجذر الذي تبنى عليه علاقة الأبناء بهم وللوصول إلى العلاقات السوية لابد من وجود حوار بناء بين الطرفين يقوم على الاحتواء والإقناع بصوت هادئ، وهذا ما سنراه في الحوار الآتي: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[1]

١ – يوسف: ٤ ، ٥.

استهل القرآن الكريم قص الحوار بـ "إذ" الظرفية لتحديد الزمان الذي بدأ الابن بقص رؤياها على أبيه فيه وكيف كان تبادل الحوار بين الآباء والأبناء والالتزام من جهة الصغير والاحتواء من جهة الكبير.

وتأتي صيغة التعبير بالفعل الماضي "قال" للتعبير عن حقيقة قائمة.

طرفا الحوار هما يوسف – عليه السلام– ونبي الله يعقوب – عليه السلام– يوسف ذلك الصبي الذي رأي رؤيا وأراد قصها على أبيه لتطمئن نفسه ويستقر قلبه وهذه عادة الصغار دائماً يبحثون عمن يجلب لهم الأمان، فما كان من الأب إلا الإنصات وحسن الاستماع، وتسطر السطور القصة التي تحمل في طياتها مستقبلاً مشرقاً لهذا الصبي.

ويأتي رد الأب على الابن في أسلوب حنون يتكئ على النصح والإرشاد في قوله تعالى:(قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ) فيستعين بـ "الياء" وأصل استخدامها لنداء البعيد، فينادي بها القريب؛ للدلالة على مكانته وبعد منزلته. وهذه المكانة والمنزلة لا تنافي صغر سنه وإنما هي دلالة على ما يجب اتخاذه تجاه الأبناء من احترام وتقدير؛ فتمتزج عاطفة الأبوة بتقدير مكانة الطفل واحترام مشاعره وفتح المجال للتعبير عنها وعدم الاستهانة بأي شيء يصدر عنه. كذلك في أسلوب النداء بهذه الكيف تلطف في جذب الانتباه باستدعاء أقوى قوى التركيز وهي السمع لتكون أدعى للاستجابة.

وتبع أسلوب النداء أسلوب نهي مجازي غرضه النصح والإرشاد، وعلى نفس منهج الوصايا السابقة كانت وصية نبي الله يعقوب ليوسف – عليهما السلام– قدم النهي وعلل له (قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ). ونتأمل التربية السوية واللمحات القرآنية لكيفية الوصول إليها؛ النهي في " لا تقصص رؤياك على أخوتك" والعلة (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ

مُبِينٌ) وكيف أحال سبب الكيد إلى الشيطان؛ لأن التراحم والمحبة بين الأخوة فطري وما يخالفه خارج عن نطاق الفطرة السوية التي فطر الله البشرية عليها. وآثر التعبير القرآني الفاء العاطفة دون غيرها من أدوات العطف " فيكيدوا" لما تقيده من ترتيب وتعقيب؛ للتنبيه على خطورة الإخبار لما يترتب عليه من أمور جسام تفتح الأبواب لمدخل الشيطان وتيسر له السبل لإيقاع الفتنة بين الأخوة.

ويأتي أسلوب الفصل بما يحوي من بلاغة في التعبير ودقائق في الأسلوب تظهر خبايا النفس البشرية وتنطق بمحتواها ؛ ففصلت جملة " إن الشيطان للإنسان عدو مبين "عما قبلها " لشبه كمال الاتصال"؛ فكانت الجملة الثانية بمثابة جواب لسؤال تضمنته الجملة الأول سؤال مثار داخل النفس ؛ فالأب ينصح الابن بكتم رؤياه على أخوته وعلل لهذه الرغبة منه بقوله " فيكيدون لك كيداً" ؛ فالأب يسعى للتوجيه السديد والتربية السوية من نزع مداخل الشيطان وغرس مشاعر الحب والتودد بين الأخوة بتوغله في نفس يوسف، وكأنه أدرك بأبوته ما وقع فيه يوسف من حيرة، خاصة أنه الشخصية السوية التي ترعاها العناية الربانية لمستقبل النبوة، وكأن يوسف يسأل سؤلاً تضمره نفسه ولا يستطيع البوح به؛ فهو في معية أبيه والحوار الدائر عن أخوته؛ فجنبه الأب حرج السؤال وغلق مداخل الشيطان بالتحذير من الشيطان وغوايته وليس الأخوة.

- هو منهج قرآني أرسى مبادئ الإنسانية من التزم به هدي إلى الصواب ونال السعادة في الدارين؛ لذا نستطيع القول: بأن القرآن الكريم دستور حياة لم يترك صغيرة ولا كبيرة تهم النفس البشرية إلا تحدث عنها ورسم لنا الطريق الصحيح ليس في الأفعال والأقوال فحسب بل في توجيه مشاعرنا والاهتمام والعناية بها وبما يخص مشاعر الآخرين وردود

أفعالهم؛ فهو دين البشرية كلها يقوم على مبدأ التعارف والتألف والتعاون.

بلاغة الحوار حينما تآمر أخوة يوسف – عليه السلام – عليه:

وينتقل بنا الحوار القرآني إلى مشهد أخر من مشاهد الحوار يضم إلى شخصية يوسف السوية شخصيات آخر أصغت إلى الشيطان وأحكم قبضته عليهم أضلهم فضلوا هم أخوة يوسف؛ لنرى حوار أبناء يعقوب– عليه السلام– (أخوة يوسف) لأبيهم يعقوب حيث صور القرآن هذا اللقاء لنرى أن التربية السوية تقوم على أسس الاحترام المتبادل بين الطرفين حتى في حين وجود أخطاء؛ فسلامة الأسلوب داعية إلى الاستماع. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [1]

فهؤلاء الأبناء أجمعوا أمرهم ونفذوا ما وسوس به الشيطان لهم؛ لذا اجتمعوا على قصة مزيفة قصوها على أبيهم حول أسباب فقدهم ليوسف استهلوها بالفعل الماضي " قالوا" وأسلوب النداء" يا" واللفظ الذي يظهر العلاقات والروابط بين طرفي الحوار وهو "أبانا" وتابع الأبناء الحوار بصيغة الجمع ؛ فالجميع أجمع الأمر على ما تم تنفيذه ، فلا يوجد بينهم معترض أو رافض أو متردد؛ فقد جمعتهم راية واحدة هي راية وساوس الشيطان؛ مما أسهم في اصار حكمهم على يوسف بأنه أكله الذئب.

اعتمد الأسلوب على الخبرية في قوله تعالى:(وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا) فاتكأت العبارة على الخبرية؛ والخبر يحتمل الصدق والكذب حسب

١ – يوسف: ١٧ ، ١٨.

مقتضيات الواقع ومطابقته له من عدمه، وتأبي الحقيقة إلا أن تفضح كذبهم على ألسنتهم في قولهم: "ولو كنا صادقين" فظهرت بلاغة التعبير القرآني بإيثار "لو" في التعبير وهي حرف امتناع لامتناع [١].

ونتأمل لفظ " نستبق" وما يعطي من دلالة الحركة والتفاعل بين الأخوة في هذا السباق المزعوم؛ ليأتي رد الأب ويعبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى:(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) ففعل القول في :" قال بل سولت" بصيغة الماضي على نمط اخبار الأبناء في: " قالوا يا أبانا" وتأتي فراسة الأب ودراسته لنفسية أبنائه ومعرفته بما تضمره نفوسهم يمثلها التعبير القرآني في قوله تعالى حكاية عن يعقوب – عليه السلام– (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً) "قالَ ابْنُ عَبّاسٍ: مَعْناهُ: بَلْ زَيَّنَتْ لَكم أَنْفُسُكم أَمْرًا. والتَّسْوِيلُ تَقْدِيرُ مَعْنًى في النَّفْسِ مَعَ الطَّمَعِ في إتْمامِهِ، قالَ الأزْهَرِيُّ: كَأنَّ التَّسْوِيلَ تَفْعِيلٌ مِن سُؤالِ الإنْسانِ، وهو أُمْنِيَتُهُ الَّتِي يَطْلُبُها فَتُزَيِّنُ لِطالِبِها الباطِلَ وغَيْرَهُ. وأصْلُهُ مَهْمُوزٌ غَيْرَ أنَّ العَرَبَ اسْتَثْقَلُوا فِيهِ الهَمْزَ. وقالَ صاحِبُ الكَشّافِ: "سَوَّلَتْ" سَهَّلَتْ مِنَ السَّوْلِ وهو الِاسْتِرْخاءُ"[٢].

ويتخذ الأب الإجراء المناسب لمواجهة ما يمر به من ألمين: أحدهما فقد ابنه يوسف ، والثاني خيبة أمله في أبنائه؛ ففي قص الأبناء قصة فقدهم

---

١ – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق د. مازن المبارك/ محمد على حمد الله، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م، الطبعة: السادسة، ج١، صـ٣٤٦.

٢ – تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي(ت:٦٠٦)، دار إحياء التراث – بيروت–، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ، ج١٨صـ ٤٣٠.

ليوسف ما يعضد عدم صدقهم، ويعقوب –عليه السلام– نبي مرسل وهو أب لهؤلاء الأبناء، فلم يجد سوى الصبر[١] وليس أي صبر وإنما الصبر الجميل أي الصبر بلا جزع ، وهذا الأمر ورد في تفسير الصبر دلالات عدة يرجع في ذلك إلى تفسير الفخر الرازي [٢] ، والصبر الجميل في هذه الحالة لا يتأتى للإنسان إلا بمعونة الخالق – سبحانه وتعالى–؛ لذا قال: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ). فهذه الفاجعة الكبرى تلقاها الأب بالصبر والاستعانة بالله –سبحانه وتعالى– ولكنه سرب جزءاً من غضبه مثله قوله:(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً). وجاء لفظ" أمراً " نكرة للتعظيم.

– يستوقفنا هذا التعبير من نبي الله يعقوب – عليه السلام– هل أنفسهم هي التي سولت لهم الأمر ويأتي الجواب بنعم؛ إذ النفس البشرية فطرت على الاستواء ولكنها قد تتعرض لمؤثرات فتتنوع وتختلف النفس وفق ما تمر به وما تتعرض له في أوقات معينة فنرى: النفس المطمئنة، والنفس اللوامة، والنفس الراضية، والنفس الأمارة بالسوء، وحديثنا الآن عن النفس الأمارة بالسوء تلك النفس التي تحكمت في أخوة يوسف حينما أرادوا النيل منه وإبعاده عن أبيه ليخلوا لهم وجه أبيهم؛ وزين لهم الشيطان وساروا في غيهم واتبعوا وساوسه.

١ – الصبر هو الثبات عند الشدة. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، صـ ١١٩١.

٢ – ينظر تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ج١٨صـ ٤٣١. مرجع سابق.

بلاغة حوار يعقوب مع أبنائه بعد تفريطهم في يوسف – عليه السلام-:

ويأتي مشهد آخر من حوار يعقوب-عليه السلام- مع أبنائه يعبر عنه القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (١)

استهل الأب رده على طلب أبنائه الوارد في قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ ﴾ (٢) بالاستفهام الإنكاري للنفي " أي: قال يعقوب لأولاده بعد أن طلبوا منه بإلحاح إرسال أخيهم معهم ، وبعد أن تعهدوا بحفظه: أتريدون أن أأتمنكم على ابنى " بنيامين " كما ائتمنتكم على شقيقه يوسف من قبل، فكانت النتيجة التي تعرفونها جمعاً ، وهى فراق يوسف لي فراقاً لا يعلم مداه إلا الله – تعالى – إنني لا أثق بوعودكم بعد الذي حدث منكم معي في شأن يوسف. فالاستفهام في قوله (هَلْ آمَنُكُمْ) للإنكار والنفي" وتأتي جملة :(فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) تذيل يجري مجرى المثل(٣). فتلك الأحداث المتسارعة والحاضر الذي يستدعي الماضي يضرب بعقل الأب ولكنه يظل متماسكاً مترابطاً يلقن أبنائه درساً منبهاً لهم إلى خطأهم السابق مع يوسف بنبرة الأب الناصح

---

١ – يوسف: ٦٤.

٢ – سورة يوسف الآيه : ١١ ، ١٢

٣ – التذيل الذي يجري مجرى المثل هو: أن يقصد بالجملة الثانية حكم مستقل عما قبلها. علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، صـ ٥١٨. مرجع سابق.

والمعلم الهادي لأتباعه؛ لذا أتى بالاستفهام ليحثهم على النظر والتفكر والتدبر وتجنب ما وقعوا فيه من خطأ.

حينما أرادت نفس الأب الخروج عن المألوف والجنوح للعصبية والانفعال بتذكره يوسف – عليه السلام – روضها بذكر الله– سبحانه وتعالى– وما يملكه من حفظ ورحمة: حفظ لبنيامين ورحمة بيعقوب فلا يفجعه بفقد بنيامين كما فجع بخبر يوسف من قبل، وقد عبر الأب عما يجيش في صدره بأسلوب غاية الإيجاز.

ويتسم الحوار بالكلمات الجامعة المطبوعة بالإيجاز الصالحة لتزين الكلام وأن تكون مضرباً للأمثال؛ فقد تبادلات فيها العلاقات الإنسانية – علاقة الآباء بالأبناء– وما تتركه من أثر عبر الأجيال على مر الأزمنة؛ الغيرة الناتجة عن سوء فهم الأبناء لمشاعر الآباء والتراحم المتأصل في نفوس الآباء.

<u>بلاغة حوار يعقوب لبنيه ناصحا لفلذات أكباده فهم الأبناء وإن أخطأوا</u>:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾[1]

في هذه الآية الكريمة يدور الحوار بين نبي الله يعقوب وأبنائه جميعاً، وتظهر مشاعر الأبوة واضحة تلك المشاعر التي تساوي بين الأبناء، فإذا اردت الموازنة بينه وبين حواره مع يوسف عليه السلام في بداية السورة ذلك الموقف الذي قص فيه يوسف عليه السلام رؤياه على أبيه، فكانت لغة الأب تفيض بمشاعر الأبوة؛ حيث عبر عن ذلك القرآن الكريم فقال تعالى:

١ – يوسف: ٦٧.

(قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) فقد اتفقت مطالع الآيات في نوعية الأساليب المستخدمة في النصيحة مع اختلاف طرفي الحوار؛ حيث أتى أسلوب النداء تبعه أسلوب النهى.

وقد بينت سابقاً أن العلة في طلب الأب عدم إخبار يوسف لأخوته؛ هو غلق مداخل الشيطان بين الأخوة بما يبثه من غيرة ويوسوس به من وجود أفضلية لأحدهما على الأخر عند أبيه، فيبني جسورا تفرق بين الأبناء وبين الآباء والأبناء، وهذه مشكلة كبيرة تعاني منها العديد من الأسر في المجتمعات التي لا تفطن إلى سد هذه الثغور منذ الصغر واستبدالها بما يقوى روابط الأخوة. وهذه العلة من الأب كانت نابعة من مشاعر الأبوة، كذلك علة طلب يعقوب عليه السلام من بنيه عدم الدخول من باب واحد منبعه الأبوة وهو كما ذكرت العديد من كتب التفاسير "لِأَنَّهُمْ كَانُوا رِجَالًا لَهُمْ جَمَال وَهَيْبَة ، فَخَافَ عَلَيْهِمْ الْعَيْن إذَا دَخَلُوا جَمَاعَة مِنْ طَرِيق وَاحِد وَهُمْ وَلَد رَجُل وَاحِد ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَفْتَرِقُوا فِي الدُّخُول إلَيْهَا."[1]ونتأمل الإعجاز البلاغي في مناسبة خواتيم الآيات لمطالعها وما يعرض للنفس البشرية؛ فلما كان يوسف منفردا قد اختصه الله –سبحانه وتعالى– برسالة كانت الرؤية التي قصها على أبيه تنبئ بذلك ، وخاف الأب – نبي الله يعقوب– عليه من عدو الله والعهد الذي أخذه على نفسه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [2] ، بدأ بأخذ أول خطوة

١ – تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، طبعة: دار التربية والتراث، بدون تاريخ نشر، ج١٦صـ ١٦٥.

٢ – ص: ٨٢. ٨٣

ليست لحماية يوسف فحسب بل لحماية أبنائه جميعاً من وساوس الشيطان، وبين العلة ليوسف – عليه السلام–.

أما علة النهي مع أبنائه مجتمعين فلم يصرح بها يعقوب –عليه السلام– وجعلها في نفسه؛ ولما كان أبنائه جميعاً في هذا الأمر، فقد يعتقدون في أنفسهم القوة؛ فهم جماعة وأبناء نبي، نبههم إلى أن القوة والحفظ تكمن في التوكل على الله، ففوض أمره إلى الله وتوكل عليه، وأخبرهم أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً؛ ليحرصوا على التوكل على الله حق توكله بما يقتضي من السعي والعمل بالأسباب، فالإعجاز البلاغي كمن في العلاقات بين الآيات، وعلاقة مطالع الآيات بمقاصدها وخواتيمها، مستخدماً أدوات الحوار البناء؛ إذا التلطف من أهم أدوات الحوار مع الأبناء حتى بعد البلوغ وتجاوز مراحل عدة في الحياة دائماً ما يلجأ الابن إلى أبية يستقي منه الطمأنينة التي تقوى العزيمة للإقبال على أمور في الحياة، وهذا الإقبال يحتاج إلى ضرورة العمل بالأسباب لتكون العقيدة حبلاً للنجاة.

<u>بلاغة الحوار بعد عودة أخوة يوسف دون أخيهم:</u>

يعرض لنا القرآن الكريم مشهداً لحوار يعقوب عليه السلام– مع بنيه فبعد أن رجع أخوة يوسف بدون أخيهم بنيامين، ومن قبل رجعوا دون يوسف، ولنعطي لأنفسنا مجالاً للتعبير عن الحالة النفسية لأب ظاهر الواقعة أنه فقد اثنين من أبنائه كل في واقعة مختلفة عن الأخرى وسبب الفقد واحد هم الأخوة الحالة النفسية للأب عبرت عنها اللغة بملكاتها البلاغية ودار الحوار بين الأب والأبناء، فبعد أن أخبروه عن سبب غياب ابنه. فكان رد الأب الذي عبر عنه القرآن الكريم فقال تعالى:(قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل) نلحظ تكرار اللفظ في قوله تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ ﴾ فقد وردت في وسط

الآيـة الثامنـة عشـر: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[1] ووردت في مطلع الآية الثالثة والثمانون قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[2]

.فالتكرار لـه دوره فـي الوقـوف علـى الجوانـب النفسـية ويحـيط بالـذات البشـرية لاسـتخراج مكنوناتهـا؛ فقد وصـف الصـبر فـي الموضـعين بالصـبر الجميل؛ فقد كان فقد يوسف اختباراً عظيم ليعقوب – عليه السلام ولا يمكنه تجـاوز المحنـة إلا بالصـبر ، فالصـبر هـي الأداة لتجـاوز المحـن ومواصـلة الحياة؛ لذا كانت في أثناء الآية الثامنة عشر لأنه مقصد من المقاصد تخلل سببه والعلـة المترتبـة عليـه، ولمـا كـان يعقوب نبـي من الأنبيـاء توجب عليـه فعل ما يليق بـه ؛ فجعل صبره صبراً جميلاً لا سخط فيه ولا جزع ولا يأس من أمر الله؛ لذا ختمت الآية بقوله تعالى:(والله المستعان على ما تصفون) أمـا فـي الآيـة الثالثـة والثمـانون؛ فقد تجمعت الأحـزان علـى نبـي الله يعقـوب غـاب عنـه بنـوه – يوسـف ، وبنيـامين ، وشـمعون– وكلمـا اشـتدت المصـائب أذنت بالفرج وكما قال الإمام الشافعي:

ضاقَت فَلَمّا اِستَحكَمَت حَلَقاتُها * فُرِجَت وَكُنتُ أَظُنُّها لا تُفرَجُ[3].**

---

١ – يوسف: ١٨.

٢ – يوسف٨٣.

٣ – ديوان الإمام الشافعي، تحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا– القاهرة، صـ ٤٠.

والفرج لا يأتي إلا مع الصبر ، ونبي الله يعقوب – عليه السلام – قد قدم موجبات الفرج وهو الصبر على كل ما عن له فآن له أن يبوح برغبته في كشف الغم ؛ لذا أتي بالفعل "عسي" التي تفيد الترجي للمحبوب حصوله والمتوقع "فإذا كان الأمر الممكن يطمع في حصوله ، صار طلبه ترجياً وحينئذ تستعمل فيه الألفاظ الدالة على الترجي كلعل وعسى"[١] الفرق بين لعل وعسى: وأما عسى فذكر النحاة أنها تأتي بمعنى لعل في الترجي والإشفاق[٢] والفرق بينهما أن عسى لمقاربة الأمر على سبيل الرجاء والطمع، يقول سيبويه: "معناه الطمَع والإشفاق، أي: طمعٌ فيما يستقبل، وإشفاقُ أن لا يكون"[٣]، فهي إذن تدل على قرب الخبر مع رجائه[٤]. وأما لعل فخبرها غير مقطوع بوقوعه، ولا متيقن، فهو موضع شك[٥].

وكما كان للكلمة بلاغتها وأثرها في الصبر الجميل كان لها دورها وأثرها فعكست نفسية الأب؛ فإذا كنت أيها القارئ قد يغيب عنك بعض الأمور فنفسية الأب لا يغادرها أبناؤه؛ لذا كان التعبير بلفظ (جميعاُ)؛ فالصبر الجميل لم يكن من أجل يوسف فقط أو يوسف وأخيه بنيامين فقط،

---

١ – علم المعاني، الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود، صـ ٤٢١. مرجع سابق.

٢– ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لأبي عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام (ت: ٧٦١هـ) ،تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ج١صـ ٣١٦.

٣– شرح المفصل، لابن يعيش النحوي، تحقيق: إميل بديع يعقوب،٢٠٠١م الجزء الرابع صـ ٣٧٢.

٤– ينظر: شرح التصريح على التوضيح، لخالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، دار الكتب العلمية –بيروت–، الطبعة: الأولى: ٢٠٠٠م، ج١صـ ٢٧٧.

٥– النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، الطبعة: الخامسة عشر، ج١صـ ٦٣٥.

بل كان من أجل أبنائه الثلاث؛ لذا ختمت الآية بقوله تعالى:" إنه هو العليم الحكيم " أي العليم بخبايا الأمور الحكيم في تصريفها. ويعكس أسلوب القصر يقين يعقوب عليه السلام– في ربه؛ فبعد أن ذكر رجاؤه في الخير من عودة أبنائه جميعاً بين علة رجائه في عودة الجميع وما يحمله من يقين وحسن ظن في خالقه الذي يقتصر عليه العلم بخبايا الأمور والحكمة في تصريفها وهو قصر حقيقي تحقيقي، قصر صفة على موصوف. وطريق القصر الضمير المنفصل " هو".

والعلة في تنكير لفظ " أمراً" في الآيتين تعظيم هذا الأمر الذي سولت به أنفسهم.

بلاغة حوار نبي الله يعقوب – عليه السلام– لأبنائه بعد تلقيه نبأ فقد الإبن الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [1]

ونتأمل المشهد القرآني كيف وصف لنا حال الأب بعد تلقيه هذا النبأ الذي قلب عليه أحزانه وأعادتها الذاكرة كأنها حية يعيشها مرة ثانية الآن، فبعد أن تكالبت الأحزان على الأب المكلوم تولى عن أبنائه، وفيه ما يدل على الخلو بنفسه؛ فهو وإن كان نبي إلا أنه بشر اكتملت فيه مشاعر الأبوة في صراع داخلي بين الحاضر والماضي ، وقد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [2] بدأ الأسى والحسرة تتجدد وتتأجج في نفس الأب مرة ثانية تسترجع ما فقد من أحبابه فلذة كبده، وما يعد بداية الحزن الذي كابده نبي الله يعقوب من فقده ليوسف؛ فيخرج النداء بالحرف "يا" زفرات الحزن والألم المكتوم في نفس الأب بما يحمله هذا الحرف من حرف المد " الألف" الذي يوحي بامتداد حزنه واستمرار ألمه، وإذا كان المقام مقام "وا" التي هي للتحسر والوجع

١ – يوسف: ٨٤ – ٨٧.

٢ – الإسراء: ٩٥.

إلا أن التعبير القرآني آثر نداء "يا " لما تحمله من طاقات لغوية تناسب وألم الأب والصراع الدائر بينه وبين نفسه من محاولة التزام الصبر الجميل الذي تحدث عنه ومناسبة المقام وما فيه من بعد يوسف عن أبيه؛ فحينما ادعى اخوته وفاته لم تودع عين الأب ولده، وها هو الآن يدخل في دائرة أخرى من الأحزان دائرة غياب الولد بسبب ادعاء ارتكابه اثماً وغياب الآخر بسبب وعد قطعه على نفسه لأبيه؛ لذا كان الياء في النداء هي الصالحة لإخراج طاقات الأحزان المتدفقة والمتتابعة على يعقوب فالحزن الجديد أثار الحزن الكمان في النفس، أخرج النار الموقدة في النفس؛ إذ نفض عنها غبار الزمن لتستعر نار الحزن والألم ليبوح الأب بحسرته على أبنائه.

في نداء الأسف مجاز فالياء خرجت من معناها الحقيقي وهو طلب الإقبال إلى معنى مجازي وهو التحسر والتوجع.

– والأسف بمعنى الحزن. والقرآن الكريم في هذه الآيات يخبرنا بأهمية الاحتفاظ ببشريتنا؛ ففي مثل هذه المواقف يُنفس الإنسان طاقات حزنه وغضبه ملتزماً بمجال العقيدة؛ فنلحظ التصرف الحكيم من الأب ساعة الغضب وثورة الحزن؛ فلم يواجه أبنائه بكل ما في داخله وإنما لمح لهم بعبارات أشد قسوة على أنفسهم دون أن يباشرهم صراحة بالإهانة؛ ليفسح المجال للنفس البشرية لتحاسب صاحبها وترده إلى الطريق الصحيح؛ فموقف يعقوب – عليه السلام– يرشدنا إلى التوجيه غير المباشر في عقاب الأبناء؛ فمجرد إعراضه عنهم تأديباً لهم.

– وتأتي بلاغة الكلمة في قوله تعالى:(وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم)؛ فكان للألفاظ صورة واضحة بما ألم يعقوب – عليه السلام– من حزن وإن كان قد كظمه في نفسه لكن آثاره بدت واضحة على ملامحه؛ فهذه عيناه ابيض سوادهما من شدة حزنه وكثرة بكائه على فراق يوسف– عليه السلام– وكان للفظ كظيم طاقاته البلاغية بما يحمله اللفظ من

استعارة؛ فالكظم أي احكام الغلق وهو لا يكون إلا للمحسوسات " يقال: كظمت القربة إذا أحكمت غلق الفوهة بما لا يسمح بتسرب الماء منها[1]، ؛ فجسم الأحاسيس والمشاعر وجعل لها فوة يمكن التحكم فيها كتلك التي للقربة، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه (كظيم) على سبيل الاستعارة المكنية[2] وهذا النوع من الاستعارة له منزلته بين أنواع الاستعارات؛ لما يقوم به من تشخيص، وتجسيد، وتجسيم؛ فيكمن أثره في إبراز المعنويات في صورة المحسوسات ولإضفاء أثرها عليها من تأثير في النفس البشرية بانعكاس ما تحويه هذه الاستعارات وما تتضمنه.

وفي قوله تعالى:" وابيضت عيناه من الحزن " كناية عن عدم الإبصار الناتج عن شدة الحزن، إذا انطلق الحزن في جسم نبي الله يعقوب حتى وصل إلى المخ معطلاً حاسة البصر. "وأنَّ الحُزْنَ هو السَّبَبُ لِعَدَمِ الإبْصارِ كَما هو الظّاهِرُ، فَإنَّ تَوالِيَ إحْساسِ الحُزْنِ عَلى الدِّماغِ قَدْ أفْضى إلى تَعْطِيلِ عَمَلِ عَصَبِ الإبْصارِ؛ عَلى أنَّ البُكاءَ مِنَ الحُزْنِ أمْرٌ جِبِلِّيٌّ فَلا يُسْتَغْرَبُ صُدُورُهُ مِن نَبِيٍّ، أوْ أنَّ التَّصَبُّرَ عِنْدَ المَصائِبِ لَمْ يَكُنْ مِن سُنَّةِ الشَّرِيعَةِ الإسْرائِيلِيَّةِ بَلْ كانَ مِن سُنَنِهِمْ إظْهارُ الحُزْنِ والجَزَعِ عِنْدَ المَصائِبِ. وقَدْ حَكَتِ التَّوْراةُ بُكاءَ بَنِي إسْرائِيلَ عَلى مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ أرْبَعِينَ يَوْمًا، وحَكَتْ تَمْزِيقَ بَعْضِ الأنْبِياءِ ثِيابَهم مِنَ الجَزَعِ. وإنَّما التَّصَبُّرُ في المُصِيبَةِ

١ –جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري،ج٧، صـ٢١٤. مرجع سابق.

٢ – الاستعارة المكنية هي: التشبيه المضمر في النفس؛ فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجري عليه اسم ذلك الأمر. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، للخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: عبد العال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى،٢٠٠٩م ج٣، صـ ٥٢٠،٥١٩.

كَمالٌ بَلَغَتْ إلَيْهِ الشَّرِيعَةُ الإسْلامِيَّةُ."[1]، ومن سببية فسبب ابيضاض العين هو الحزن الشديد.

كردة فعل لحزن الأب الذي لم يصرح به للأبناء كاظماً لغضبه ساتراً له إلا أنه قد تسرب في بعض عباراته " قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً " وأفعاله كما دل عليها قوله تعالى:" وتولى عنهم" جاء دور الأبناء للالتماس الأعذار لأنفسهم بقولهم:(قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف) ونلحظ فصل هذه الآية الكريمة عما قبلها لما يوحي به الفصل من مدة زمنية تخللت الحوار، على النقيض ما ورد في قوله تعالى:(وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف)؛ فالتولي يحكي حال الأب بعد سماع الخبر. والغرض من الفصل شبه كمال الاتصال. قوله (وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف) أثارت سؤلاً محتواه فماذا كان رد فعل الأبناء؟ ليصدر قول الأبناء بأسلوب القسم" تالله" مما يثير ما بداخل نفوس الأبناء من اعتقادهم الخاطئ حتى في غياب يوسف؛ حيث إن أسلوب القسم من الأساليب التي تؤكد العبارة وتستميل النفوس وتستعطفها؛ لذا كان لأسلوب القسم في هذا الحوار محورين: الأول إخراج كوامن نفس الأبناء، والثاني استعطاف الأب.

وتظهر ملامح النبوة واضحة في قوله تعالى حكاية عن نبي الله يعقوب:(قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) فكل هذا الحزن الذي بدت آثاره واضحة لم يكن سببه سخط أو ضجر والعياذ بالله وإنما كان تضرعاً ودعاءً لله تعالى– لذا ورد لنا أسلوب القصر؛ فجعل الشكوى مقصورة على الله تعالى– قصر صفة على موصوف؛ فلم يكن هدفه تجديد الحزن المتأجج في النفس وإنما كان توجهاً وتضرعاً إلى الله– سبحانه وتعالى– وما ذلك إلا

١ – التحرير والتنوير، ج١٣صـ ٤٣. مرجع سابق.

لقصور عقول أبنائه عن إدراك حقيقة الأمور واستيعاب خباياه؛ لذا ختمت الآية بقوله تعالى:(وأعلم من الله ما لا تعلمون)؛ فهو علم النبوة.

ويأتي نداء الأب الحزين لأبنائه فيقول تعالى:(يَا بني اذْهَبُوا فتحسسوا من يُوسُف وأخيه) يستهل نداءه بـ "يا" وأسلوب الأمر؛ فصدر من الأبناء ما صدر، وظلت أبوة الأب تملي عليه تحركاته، وتتحكم في انفعالاته. ونتأمل لفظ " تحسسوا" وما يتضمنه من معان؛ "الْخَبَر تطلب مَعْرفَته وَيُقَال تحسس من الْقَوْم تتبع أخبارهم وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز (يَا بني اذْهَبُوا فتحسسوا من يُوسُف وأخيه) وَلِلْقَوْمِ سعى فِي جمع الْأَخْبَار وَالْأَحَادِيث لَهُم "[1].

– فصلت جملة " يا بني اذهبوا" عما قبلها؛ لشبه كمال الاتصال فبعد أن أخبرهم بقصور عقولهم عن إدراك العديد من الأمور أثار الأمر سؤلاً محتواه: فبما تأمرنا؟ ولما كان المقام وملابساته علاقات إنسانية وصلات لا تنقطع حتى بالموت؛ فصفات الأبوة والبنوة فطرة جبل عليها البشر؛ علاقات متبادلة من محبة ومودة وإيثار بين الطرفين؛ كان جواب الأب مليئاً بالدفء تجاه جميع أبنائه؛ فورد بصيغة الجمع؛ إذ الجميع منوط بهذه المهمة مكلف بالاجتهاد في تنفيذها وعدم التهاون في تتبع الأخبار؛ فالغائبون أخوة.

وبدت بلاغة التعبير القرآني في إيثار "الفاء" العاطفة دون غيرها؛ فذهابهم يعقبه ويترتب عليه الاجتهاد في جمع الأخبار؛ فثمت فائدة يطمح الجميع في الوصول إليها.

وقدم التعبير القرآني يوسف على أخيه لعدة أمور: الأول: اتباع الترتيب الزمني؛ فغياب يوسف تقدم على غياب أخيه. الثاني: كون الأب

---

١ – المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار الدعوة، ج١صـ ١٧٢.

لا يعرف أثراً ليوسف ولم يتمكن من العثور على أخبار تخصه بخلاف أخيه. الثالث: حث الأبناء على الجد في البحث وعدم التهاون بسبب طول المدة الزمنية لغياب يوسف، يؤكد ذلك قوله تعالى:" ولا تيأسوا من روح الله".

وعلل الأدب للأبناء سبب طلبهم هذا لأمر على الرغم من تخلل المدة الزمنية في حال غياب يوسف؛ وإحكام ما حيك لأخيه لعلة أرادها الله– الإيذان بتحقق رؤيا يوسف – "إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون"؛ فمع الشدة فرج ومع العسر يسر؛ لذا لا ييأس الإنسان من رحمة الله مهما تكاثرت عليه الأحزان وقد أوصانا الله بذلك فقال في محكم آياته: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ ﴾ [١]

– يبدو جماليات أسلوب القصر في التعبير؛ فقد قصر اليأس من رحمة الله على القوم الكافرين؛ إذا المؤمن قوي اليقين حسن الظن في الله؛ مما يعينه على تحمل الشدائد. "وجمهور الفقهاء على أن اليأس كبيرة، نعم كونه كبيرة مما لا شك فيه بل جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه تعالى عنه أنه أكبر الكبائر" [٢]. ولعل ما جعل الفقهاء يعدون اليأس من الكبائر؛ النتيجة الحتمية التي يصل إليها الإنسان حينما يتملكه اليأس ويتمكن منه؛ فقد يذهب عقله ويتحكم فيه الشيطان.

– من اللطائف البلاغية لفظ (روح) وما يحمله من استعارة تصريحية؛ فقد استعار لفظ الروح للرحمة؛ وتكمن جمال الاستعارة فيما يحمله اللفظ من دلالات نفسية؛ فلفظ (روح) يشعر الإنسان بسلام نفسي

---

١ – الشرح: ٥ – ٦.

٢ – ينظر تفسير الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت–، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، ج٧، صـ٤٣.

يترتب عليه حسن تصرف في الأمور يلجئه إلى حسن الظن في الله، وبذا يكون قد دخل في رحمة الله – جل وعلا– وتظهر اللفتات القرآنية الرائعة في إيثار لفظ "الروح" على " النفس"؛ فقد قيل إن الروح: الذي به الحياة. والنفس: التي بها العقل، فإنا نام النائم قبض الله نفسه ولم يقبض روحه إلا عند الموت [١].

وخرجت العبارة على خلاف مقتضى الظاهر في قوله تعالى: "ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله" فكان المقام مقام "الضمير" لكن التعبير القرآن آثر الاسم الظاهر لما يحمله من تقوية الداعي إلى الامتثال وتحقيق المأمور به من عدم اليأس في التتبع. " وقد يقصد بوضع الظاهر موضع الضمير تقوية داعي المأمور به على الامتثال وتحقيق الأمر "[٢].

١ – الفروق اللغوية، صـ٥٧٦. مرجع سابق.

٢ – علم المعاني، د. بسيوني فيود، صـ٢٥١. مرجع سابق.

بلاغة حوار يعقوب- مع بنيه حينما أحس بريح يوسف- عليهما السلام-:

وننتقل إلى مشهد آخر من حوار يعقوب عليه السلام مع بنيه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [1]

ولما خرجت القافلة من مصر قاصدة مكان يعقوب -عليه السلام- قال يعقوب لمن كانوا حاضرين: إني لأجد ريح يوسف. وبالتأمل لأضواء اللفظ القرآني وما يحمله من بلاغة وإيحاءات تدرك من معاني المعاني؛ فلفظ "فصلت " ودلالته على فصل بعد التحام والتصاق هذا الالتصاق للقافلة كان مرتبطاً بتبرئة "بنيامين" وأمر أبيهم لهم بعدم اليأس من روح الله.

ويستوقفنا التعبير القرآني في قوله تعالى:(إني لأجد ريح يوسف لولا تفندون) هل الريح مما يوجد؟ الإيجاد للشيء الضائع وبالفعل ضاع يوسف من أبيه؛ لذا كان للفظ " أجد" دلالته البلاغية التي عكست دلالة نفسية لأنها فعل من أفعال القلوب؛ إذا الأب لم يجد شيئاً حسياً يدل على وجود يوسف، وإنما وجد يوسف بقلبه؛ لذا قال تعالى: "لولا أن تفندون" فأتى بـ "لولا" التي هي حرف امتناع لوجود وحذف جواب "لولا" لدلالة السياق عليه والتقدير والله أعلم: لولا أن تفندون لأخبرتكم بأنه حان لقاء يوسف؛ ولهذا الحذف للجواب لفتة بلاغية؛ فالأب لم يتمكن من أدلة مادية وإنما توصل بإحساسه، وعامل نفسي ألقى في قلبه هذه الإحساس.

---

١ – يوسف: ٩٤ – ٩٨.

الإعجاز العلمي في قوله تعالى:" لأجد ريح يوسف":

-ومما لا شك فيه ارتباط الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بالإعجاز البلاغي؛ إذا الألفاظ وسيلة لنقل المعارف، وقد توصل العلم الحديث إلى أمور متعلقة بالإعجاز العلمي لهذه الآية الكريمة؛ حيث ربط المفسرون بين تفسير معناها وما توصل إليه العلم الحديث في هذا الشأن:

"ويحاول العلم بوسائل من الأشعة أن يكشف صورة أيِّ جماعة كانت تجلس في مكان ما، ثم رحلتْ عنه منذ ساعة أو ساعتين، ممَّا يدلُّ على أن الصور لها نضح من شعاع وظلال يظل بالمكان لفترة قبل أن يضيع. وكذلك الأصوات؛ فالعلماء يحاولون استرداد أصوات مَنْ رحلوا؛ ويقولون: لا شيءَ يضيع في الكون، بل كل ما وُجِد فيه محفوظ بشكل أو بآخر. والرائحة أيضاً لا تضيع، بدليل أن الكلب يشُمُّ الريح من على مسافات بعيدة، ويميز الآن المخدرات من رائحتها؛ ولذلك تنتشر الكلاب المدرَّبة في المطارات وعلى الحدود؛ لتكشف أيَّ محاولة لتهريب المخدرات. وإذا كان الحيوان المخلوق بقدرة الله قادراً على التقاط الرائحة من بين آلاف الروائح، وإذا كان العلم الموهوب من الله للبشر؛ يبحث الآن في كيفية استحضار الصورة واسترداد الصوت من الفضاء المحيط بالإنسان؛ فعلينا أن ندرك أن العِيرَ عندما خرجتْ من أسوار المدينة؛ وأخذتْ طريقها إلى الموقع الذي يعيش فيه يعقوب عليه السلام؛ استطاع يعقوبُ بقدرة الله أن يَشُمَّ رائحة يوسف؛ تلك التي يحملها قميصه القادم مع القافلة. ولسائل أن يقول: ولماذا ارتبط تنسُّم يعقوب لرائحة يوسف بخروج العِير من مصر، وتواجدها على الطريق إلى موطن يعقوب؟نقول: لأن العِيرَ لحظة تواجدها في المدينة تكون رائحة قميص يوسف مُخْتلطة بغيرها من الروائح؛ فهناك الكثير من الروائح الأخرى داخل أي مدينة، ويصعب نفاذ رائحة بعينها لتغلب على كل الروائح؛ ويختلف الأمر في الخلاء؛ حيث يمكن أن

تمشي هَبَّة الرائحة دون أن يعترضها شيء .وبذلك نؤمن أن كل شيء في الكون محفوظ ولا يضيع"[١].

كيف تحدث القرآن عن هذه الحقائق؟ "والآن نأتي إلى الآية الكريمة ونتأملها من جديد على ضوء هذه الاكتشافات، فقد أحضر إخوة يوسف قميص نبي الله يوسف- عليه السلام- وفيه رائحة يوسف، هذه الرائحة انتقلت مع الريح لتصل إلى أنف نبي الله يعقوب قبل أن تصل القافلة.

وبما أن البشر كانوا يملكون قدرة كبيرة على تحليل الإشارات الكيميائية أو الروائح، فإن نبي الله يعقوب –عليه السلام- استطاع تذكر رائحة ابنه الذي مضى على غيابه عشرات السنين، بينما بقية أفراد العائلة لم يصدقوا ذلك، إذ الجميع يظن أن يوسف قد أكله الذئب، ولذلك قالوا له: (قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ).

إذن ما جاء في القرآن موافق للمنطق العلمي وللمكتشفات الجديدة ولا يناقضها أبداً، وإذا تذكرنا بأنه قبل آلاف السنين لم يكن هنالك أي تلوث، فإن أي رائحة مميزة ستنتشر بشكل أفضل من انتشارها في عصرنا هذا بسبب التلوث الكبير للهواء. وإذا علمنا أيضاً أن العلماء يؤكدون قدرة الإنسان على تذكره الروائح لفترات طويلة من الزمن، وتذكرنا ما يقوله العلماء حول تأثير هذه الروائح على السلوك الإنساني، فيمكن لأهل العلم التسليم بقصة نبي الله يوسف وأن أبيه يعقوب –عليه السلام – قد شمّ رائحة قميص ابنه وقد أعادت هذه الرائحة له البصر.

وإذا تأملنا قصة نبي الله يعقوب – عليه السلام – عندما ابيضَّت عيناه بسبب حزنه على ولديه يوسف وأخيه، نجد أن العمى حدث نتيجة

١ – تفسير الشعراوي الجزء الثاني عشر موقع : http://www.al-eman.com/

صدمة نفسية، أي أن السبب نفسي وليس عضوي. وبكلمة أخرى لم يكن هنالك خلل في العين بل إن الخلل حدث في الدماغ في منطقة الرؤيا.

ورائحة قميص يوسف أو كما سمَّاها (ريح يوسف) قد أثَّرت ونشَّطت هذه المنطقة من الدماغ أي منطقة الرؤيا، وتذكَّر على الفور ابنه يوسف وتأكد أنه لا يزال حياً، وبالتالي فإن السبب الذي أدى إلى الخلل في الرؤيا قد انتفى، مما أدى إلى تصحيح الخلل في الرؤيا.

رأينا أيضاً كيف أن دماغ الإنسان يقرأ الروائح كما يقرأ الرسائل المكتوبة، أي أن سيدنا يعقوب كان ينتظر هذه الرسالة ليتعرف من خلالها أن ابنه لا زال حياً يُرزق، وبالتالي ستكون سبباً في رد بصره إليه. وهذا ما قاله يوسف لإخوته عندما أمرهم أن يأخذوا قميصه لأن فيه رائحة سيدنا يوسف التي سيتعرف عليها الأب مباشرة حتى قبل أن يصل القميص: (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ)

ولذلك لم يقل سيدنا يعقوب: (إني لأشم ريح يوسف)، بل قال: (إني لأجد ريح يوسف)، لأن سيدنا يعقوب قد وجد فعلاً هذه الرائحة، وتعرَّف عليها جيداً لأنه كان يبحث عنها طوال سنوات، وهذا يدل على الثقة الكبيرة لسيدنا يعقوب بهذه الرائحة، وأن يوسف لا يزال حياً"[1].

ويمكننا رد هذا التعبير إلى تراسل الحواس [2] ؛ إذ الإيجاد أبرع وأدق من الشم ؛ فالشم يفيد مجرد وجود الرائحة بينما الإيجاد يفيد التمكن منها واحتوائها والتحقق من وجود صاحبها بعد فقده مدة من الزمن ؛ كما أن

---

١ – ينظر موسوعة الكحيل للإعجاز في القرآن والسنة.

٢ – تراسل الحواس "وصف مدركات حاسة من الحواس بصفات مدركات حاسة أخرى ". تراسل الحواس في الشعر العربي، بحوث ومقالات، د. عبد الرحمن بن عبد العزيز الهليل ، العقيق– نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي– السعودية ، يناير– مارس، ٢٠٠٥، مجلد ٢٧، العدد ٥٣، صـ٩٨.

الفرحة التي تعقب الإيجاد بما يحمله من معاني الفقد أقوي من الفرحة التي تعقب الشم ، ولا يتنافى الإيجاد مع حاسة الشم ؛ "إذ استخدام حاسة من الحواس لا يعني انعدام الحاسة الأصلية أو انتفاء المعنى كلية ؛ لأنه للحاسة المذكورة دلالة ولمدلول السياق دلالة أخرى، ومن هنا لعب التراسل دوره في تنشيط الصورة من خلال إضافة معطيات جيدة تحتاج من القارئ اعمال الفكر لمحاولة فهم ما يدور بين الألفاظ والسياق"[1] ، وهذا التراسل في الألفاظ هو الذى جعل الباحث يبحث عما خفي عليه من معان ، وما تحمله هذه المعاني من معان أخر. بحث يجوب النفس البشرية لاستخراج خباياها وإيجاد العلاقة بين الألفاظ والمعاني وقائلها والمواقف التي دلت عليها.

ومن اللفتات الرائعة والبديعية في سورة يوسف في حوار يعقوب مع بنيه الاهتمام بصفة العلم ورد أسبابها إلى الله في موقعين: الأول: في الآية السادسة والثمانون في قوله تعالى: "قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله...."، والثاني في قوله تعالى:" ولم أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتدا بصيراً قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون"؛ فأتت الآية الثانية تذكرة لما أخبرهم به من قبل ؛ لذا وردت الآية الثانية مؤكدة ؛لأنها إثبات لما أخبر به من قبل ؛ فثمت أدلة أثبتت صحة أبيهم في قرارته وما كان يأمرهم به.

ويسدل الستار على حوار يعقوب مع بنيه بتوبة الأبناء وطلبهم المغفرة واعترافهم بخطئهم؛ وتبدوا براعة صيغة الجمع في قوله تعالى: "قالوا يا أبانا" بحرف النداء "يا" التي للبعيد وهم في مجلسه؛ للتعظيم ولدلالة على

١ – تراسل الحواس في البلاغة العربية " نماذج من القرآن الكريم والسنة النبوية والشعر العربي"، للباحثة، حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود، العدد ٣٢، المجلد: الرابع، صـ ٣٩٢٦.

منزلة الأب ومكانته في قلوبهم، وساعدت في اخراج شحنات الغضب والندم على ما فرطوا، وانعكاس لحقيقة أدركوها وهي بعدهم عن الفهم الصحيح لمشاعر الأبوة وانغماسهم في هوى النفس الأمارة بالسوء وقت تفريطهم في أخيهم يوسف – عليه السلام–. ووردت صيغة النداء هذه في خمس مواضع: الأول: عند طلبهم يوسف:(يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف) الثاني: عند ادعائهم فقد يوسف في قوله تعالى:(يا أبانا إنا ذهبنا نستبق). الثالث: حينما منع منهم الكيل:(يا أبانا منع منا الكيل). الرابع: (ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق). الخامس:(يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) لكل نداء من النداءات السابقة غرض في نفوس الأبناء ويحمل مرحلة من مراحل الحياة، ويتحدث عن مواقف من المواقف. ابتدأت النداءات بطلب من الأب وختمت بطلب من الأب، لكن الطلب الذي ختمت به نداءات الأبناء مجتمعين ختمت به معاناة يعقوب مع بنيه بتوبتهم. بعد كافة الأحداث والمعاناة التي تسبب فيها أبناء نبي الله يعقوب ليعقوب ويوسف – عليها السلام–.

نجد قلب الأب الذي وجد ريح يوسف يتوجه إلى الله يستغفر لبنيه، وكما كان على ثقة ويقين في الله حالة الشدة كانت نفس الثقة واليقين عند يعقوب حالة الرخاء؛ فقد عاد إليه أبناؤه جميعاً. هنا سؤال يطرح نفسه هل بهذا اطمأن يعقوب؟ ويكمن الجواب في لفظ "سوف "؛ فالاستغفار للأبناء ليس في الحال فقط وإنما ينسحب على الاستقبال؛ حيث إن "سوف" دخلت على الفعل المضارع فخصصته للاستقبال. وثمة فرق دقيق بين "السين، وسوف" جعل البلاغة القرآنية في هذا الموقف تؤثر سوف؛ فسوف تكون للتسويف أي يطول فيها وقت الفعل أكثر من السين التي للتنفيس "كما اشترك "السين" و"سوف" في معنى "التنفيس"، وكانت "سوف" أكثر تنفيسًا؛

لكثرة حُرُوفِها" [١]. ومن هنا ندرك أن استغفار الأب للأبناء يستغرق زمناً مما يدل على اهتمام الأب بأبنائه جميعاً على عكس عقيدة الأبناء بالتفضيل بينهم. وهكذا تتاثر "صوت الحس" في أرجاء حوار نبني الله يعقوب – عليه السلام– مع بنيه في القرآن الكريم لأعود وأكرر أن القرآن دستور حياة لم يغادر صغيرة ولا كبيرة تخص النفس البشرية إلا تعرض لها ووضع الأساس القويم لخوضها، واهتمام القرآن الكريم بهذا الصوت ناشئ من بلاغته في التعبير وجمعه لجوامع الكلم، ودقة التصوير، وطرافة المعاني لإيثار بعض الألفاظ والأساليب على بعض. "صوت الحس، وهو أبلغهن شأناً لا يكون إلا من دقة التصور المعنوي والإبداع في تلوين الخطاب، ومجاذبة النفس مرة وموادعتها مرة، واستيلائه على محضها بما يورد عليه من وجوه البيان ، أو يسوق إليها من طرائف المعاني، يدعها من موافقته والإيثار له كأنها هي التي تريده وكأنها هي التي تحاول أن يتصل أثرها بالكلام" [٢].

– في نهاية عرض بلاغة الحوار بين الآباء والأبناء في سورة يوسف أستطيع القول بأنها منبعاً خصباً لتلقي أدبيات الحوار، وأسسه وما يحمله جو الحوار من إقناع معتمد على العقل والقلب جاعلاً كل حاسة في الجسد تتفاعل مع المتحاورين فلم يقتصر فيها الحوار على أفراده بل تعداهم إلى القارئ للنص القرآني جاعلاً من المتلقي طرفاً يعيش الأحداث لحظة بلحظة يشعر بما انتاب الابن من خوف في مقبل عمره نتيجة ما شهد من أخوته وما شعر به الأب من ألم الفقد والحسرة ، والندم الذى خيم على الأبناء

١ – المعين على تفهم الأربعين، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن على بن أحمد الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ)، تحقيق الدكتور: دغش بن شيب العجمي، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع– الكويت–، الطبعة: الأولى، ٢٠١٢م، صـ٨٥.

٢ – إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي،١٤٢٥هـ– ٢٠٠٥م، صـ ١٥٢.

نتيجة تفريطهم في أخيهم ، وكيف كان للتوكل على الله أثره في تبدل الأحول وسيرها في المسار الطبيعي للعلاقات الإنسانية.

– بصفة عامة تنوعت الأساليب البلاغية للتعبير عن النفس البشرية؛ فقد كانت البلاغة القرآنية مرآة معبرة عما يجول في نفس الأب الذي تدرج به الألم حتى إذا بلغ منتهاه أتى لطف الله بتفريج الكرب؛ فوجد ريح يوسف وهذا الإيجاد غاية الأمل عند الأب المكلوم؛ فقد كانت الكلمات أضواء تشرق من خلالها نفس يعقوب؛ من خلالها توصلنا إلى مدي عطف الأب وحنانه وثقته في الله مما جعله يتخطى كل ما عنَّ له من صعاب، ولم تسدل البلاغة القرآنية الستار عن دور الأب بانفراج الأزمة بل جعلت له دوراً ممتداً متمثلاً في الدعاء المتصل والممتد لبنيه متمثلة في قوله:(سوف أستغفر لكم ربي).

ألقى الحوار في سورة يوسف الضوء على النفس البشرية في كل حالاتها وما تنطوي عليه حالة الفرح والحزن، اليأس والأمل، الشدة والفرج، وأرشدنا إلى كيفية التعامل في المواقف المختلفة متخذا من الأحباب وسيلة للعرض؛ فصدور الخداع من الأبناء ليس كغيره. مستعينا في ذلك العرض بجماليات البلاغة متخذا منها أضواءً تُلقي على المعاني، مغلفاً لها في صور تجذب القارئ تجعله يعيش القصة ويدلي بدلوه فيما يصدر من مواقف متأملاً كل ما يدور فيها؛ ليأخذ العظة والعبرة ويستطيع التصرف في مثل هذه المواقف جاعلاً من فكره وعقله أداة للتحكم في انفعالاته كما رأينا من نبي الله يعقوب – عليه السلام– هذه هي التربية القرآنية التي أسسها القرآن الكريم للبشرية مما جعلت منه دستور حياة، وهذه هي البلاغة القرآنية التي تمس النفس البشرية وتعكس أجوائها للوصول بالقارئ والمتلقي إلى بر الأمان لإخراج كوامن النفس بصورة لطيفة راقية لا تكسر نفوس الآخرين | ولا ترمي بهم في غيابات اليأس وظلامه الدامس.

****

خاتمة البحث

الحمد لله الذي تتم به الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد النبي الهادي الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد:

يطيب لي في خاتمة هذا البحث التعرض لأهم ما تم التوصل إليه في بحث ذا قيمة إنسانية؛ لتعلقه بركن حيوي في الحياة الإنسانية ألا وهو حوار الآباء مع الأبناء وما يترتب عليه من أواصر وروابط وعلاقات وفق نوعية الحوار الموجه، ومدي فاعلية الأسلوب المتبع في الإلقاء؛ لذا كان للبلاغة العربية دورها كأحد العلوم الإنسانية في إثراء هذا الحوار الحيوي الذي يبين لنا كيفية الحفاظ على الروابط الإنسانية، وإذكاء العلاقات وتنمية مشاعر الحب والود بين أفراد الأسرة الواحدة؛ الحوار بين حاضر الأسرة – الأب– ومستقبلها– الأبناء– والأسرة هي نواة صغيرة تتكون منها المجتمعات فإذا صلحت صلح المجتمع كله. ولما كان القرآن الكريم دستور حياة كان هو الطريق الأمثل لنقتدي به في تسيير هذه العلاقات.

– في هذا البحث وجدنا الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم يلقي الضوء على جانب من جوانب الحياة، وهو الحوار على العموم وحوار الآباء للأبناء على الخصوص لنتوصل إلى الإعجاز التربوي في القرآن الكريم.

– تنوعت لغة الحوار وفق المواقف والمتحاورين؛ مما أدى إلى تنوع الأساليب البلاغية ما بين " معاني، وبيان، وبديع"

– تصدر الود والمحبة أرجاء الحوار؛ فكانت الألفاظ والأساليب كالماء الجاري استطاعت أن تفسر ما يحوي الأسلوب من دلالة نفسية.

– كان لأداة النداء "يا" تميز خاص دون غيرها من أدوات النداء، واستخدمت لنداء القريب لأغراض بلاغية تم التنويه عليها في مواقعها.

– للغة الحوار أثرها في الإقناع لما تحمله من طاقات بلاغية.

- كون الحوار وسيلة من وسائل الالتقاء الفعالة بين البشرية منذ القدم؛ لذا فإن الاهتمام بالعرض وما ينطوي عليه من بلاغة له أثره في تخليد الحوار.
- كون الإيجاز هو اللغة السائدة في الحوار؛ والإيجاز هو محور البلاغة العربية ما دام من متطلبات المقام.
- الارتباط الوثيق بين الدراسات البلاغية والدلالات النفسية؛ لكون البلاغة أحد العلوم الإنسانية التي تهتم بظلال الألفاظ وإيحاءاتها وتلقي الضوء على كوامن النفس البشرية واستخراج طاقاتها.

توصياته:

- تسليط الضوء على الدراسات التربوية في القرآن الكريم وتحليلها بحس بلاغي يتذوقه القارئ ليكون أهدي للقبول وأيسر في التنفيذ؛ فالألفاظ القرآنية تستتر وراءها قضايا بشرية يعجز العقل البشري عن استخراجها؛ لذا فالأمر يحتاج إلى تكثيف العكوف على هذه القضايا لاستخراجها.
- ربط الدراسات النفسية بالدراسات البلاغية؛ لمعرفة ما يصلح النفس البشرية.
- ربط الحاضر بالماضي وتسليط الضوء على كل ما يخدم الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم؛ فاللغة هي همزة الوصل بين العلوم كافة، وكلما ارتقت اللغة زاد الإحساس بها والتوصل إلى مكنوناتها.

وختاماً فهذا جهد قدمته في موضوع رأيته من أفضل الموضوعات التي وقع ناظري عليها ابتغيت به وجه الله – سبحانه وتعالى– وأسأل الله العلي القدير أن يتقبل منا وأن يجنبنا الزلل، وينأى بنا عن مواطن الخلل، ويلبسنا الحلل، ويسكننا الظلل إنه هو السميع العليم، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– تسليماً كثيرا.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أثر إغفال السياق في الابتعاد عن الدلالة المرادة في الخطاب القرآني، الشريفي، رحيم كريم علي، المحني حسين علي هادي، (م. مشارك) بحث تم نشره في مجلة الكلية الإسلامية الجامعة- العراق، العدد ٣٥، سنة ٢٠١٥م.

٣. الأحكام الشرعية الكبرى، تأليف: أبو محمد عبد الحق الإشبيلي، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى.

٤. أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مكتبة لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م.

٥. أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، د. عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م.

٦. إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي،١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

٧. إعجاز القرآن الكريم في مدة الرضاعة ونوعيتها، د. فهمي مصطفي محمود، كلية الصيدلة جامعة الزيتونة الأرنية، من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة الكويت ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٨. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لأبي عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر.

٩. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م.

١٠.البرهان في وجوه البيان، لأبي إسحاق بن إبراهيم بن سلمان بن وهب الكاتب، تحقيق د. حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة.
١١.بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٩م.
١٢.البلاغة الاصطلاحية د. عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، الطبعة: الرابعة، سنة ٢٠٠٠م.
١٣.البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني أبو عثمان الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال – بيروت–،١٤٢٣هـ.
١٤.تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن الكريم، لابن أبي الإصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، تحقيق د. حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث.
١٥.التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر– تونس–، ١٩٨٤م.
١٦.تراسل الحواس في البلاغة العربية للباحثة " نماذج من القرآن الكريم والسنة النبوية والشعر العربي" ، حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود ، العدد ٣٢، المجلد :الرابع.
١٧. تراسل الحواس "وصف مدركات حاسة من الحواس بصفات مدركات حاسة أخرى ". تراسل الحواس في الشعر العربي، بحوث ومقالات، د. عبد الرحمن بن عبد العزيز الهليل ، العقيق– نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي– السعودية ، يناير– مارس، ٢٠٠٥، مجلد ٢٧، العدد ٥٣، صـ٩٨.
١٨.التربية بالحوار، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر – دمشق، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م.

١٩.تسهيل نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، للرازي، تحقيق: د. عبد القادر حسين، طبعة دار الأوزعي بيروت– لبنان، ١٩٨٩م.
٢٠.التصوير البياني دراسة تحليله لمسائل علم البيان، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣م.
٢١.التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، د. على علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م.
٢٢.تفسير البغوي، تأليف: البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار النشر: دار المعرفة – بيروت.
٢٣.تفسير الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعالبي (ت: ٤٢٧هـ) تحقيق عدد من الباحثين (مجموعة رسائل جامعية)، دار التفسير– جده– المملكة العربية السعودية، ط دار التفسير» ٢٠١٥م.
٢٤.تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي(ت:٦٠٦)، دار إحياء التراث – بيروت–، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٢٥.تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
٢٦.التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.
٢٧.تفسير مجمع البيان – ذكر الطبرسي في تفسير هذه الآيات مجمع البيان ، الطبرسي.

٢٨.جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـ.
٢٩.جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة المؤلف: أحمد زكي صفوت الناشر: المكتبة العلمية بيروت–لبنان.
٣٠.الحوار بين الآباء والأبناء " رسالة ماجستير تخصص إرشاد وتوجيه"، إعداد الطالبة: كروش كريمة، إشراف: د. أحمد هاشمي، جامعة وهران السانيا كلية العلوم الاجتماعية قسم علم النفس وعلم التربية، لعام ٢٠١٠-٢٠١١م.
٣١.الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه، منى إبراهيم اللبودي، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣ م.
٣٢.الحوار والجدال في القرآن الكريم، الشيخ خلف محمد الحسيني، وكالة الصحافة العربية – مصر- ، سنة النشر ٢٠١٨ م.
٣٣.خصائص التراكيب دراسة تحليله لمسائل علم المعاني، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، الطبعة الرابعة، ١٩٩٦.
٣٤.خلاصة المعاني، للحسين بن عثمان بن الحسين المفتي، (ت: ١٠٥٩) تحقيق د. عبد القادر حسين، الناشرون العرب.
٣٥.الدلالة النفسية في سورة نوح، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية، بنين بجرجا، د. مروة محمد عبد العظيم عبد العزيز، العدد الخامس والعشرون، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.
٣٦.ديوان الإمام الشافعي، تحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا- القاهرة، بدون تاريخ نشر.
٣٧.ديوان ذي الإصبع العدواني حرثان بن محرث(توفي قبل ٢٢أو ٢٥ قبل الهجرة)، تحقيق: عبد الوهاب محمد على العدواني وآخرون، مطبعة الجمهورية – الموصل، سنة ١٩٧٣م.

٣٨.ديوان علي بن جبلة، تحقيق :د. حسين عطوان دار النشر :دار المعارف، لطبعة الثالثة.
٣٩.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت–، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
٤٠.الروض المربع شرح زاد المستقنع، تأليف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، دار النشر: مكتبة الرياض الحديثة – الرياض ، ١٣٩٠هـ.
٤١.شرح التصريح على التوضيح، لخالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، دار الكتب العلمية –بيروت–، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م.
٤٢.شرح الزركشي على مختصر الخرقي، تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي، تحقيق: قدم له ووضع حواشيه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، الطبعة: الأولى.
٤٣.شرح المفصل، لابن يعيش النحوي، تحقيق: إميل بديع يعقوب،٢٠٠١م.
٤٤.الصناعتين، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد على البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت–، ١٩١٤هـ.
٤٥.صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي(ت:٥٧٩)، تحقيق: حسن المساحي سويدان، دار القلم–دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م .
٤٦.الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للسيد الإمام يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، تحقيق: محمد بن

عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٤٧.علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية " دراسة فقهية مقارنة" د. سعاد إبراهيم صالح، دار التعاون، الطبعة: الثالثة.

٤٨.علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار الطبعة: الثالثة.

٤٩.الفروق اللغوية في القرآن الكريم، د. عبد الجبار فتحي زيدان، العراق – الموصل – ٢٠٢٠م

٥٠.الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان،١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٥١.فن البديع، د. عبد القادر حسين، دار الشروق، سنة النشر ٢٠٠٢م.

٥٢.لسان العرب، لابن منظور، دار الحديث القاهرة، بدون تاريخ وسنة نشر.

٥٣.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د: أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر – الفجالة– القاهرة.

٥٤.مختصر صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري للمنذري تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية – بيروت – لبنان الطبعة السادسة،١٤٠٧هـ –١٩٨٧م، ج٢صـ٤٧٤.

٥٥.مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر بك، دار القرآن الكريم بيروت، ١٩٧٢م ١٣٩٢هـ.

٥٦.المدونة، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت: ١٧٩هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٥٧.مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
٥٨.المعجم الاشتقاقي لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب.
٥٩.المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار الدعوة.
٦٠.المعين على تفهم الأربعين، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن على بن أحمد الشافعي المصري(ت: ٨٠٤هـ)، تحقيق الدكتور : دغش بن شيب العجمي، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع- الكويت-، الطبعة: الأولى، ٢٠١٢م.
٦١.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق د. مازن المبارك/ محمد على حمد الله، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م، الطبعة: السادسة.
٦٢.المغني في الضعفاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر.
٦٣.ومفتاح العلوم ، ليوسف بن أبي بكر بن على السكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى- لبنان- ، ٢٠٠٠ م
٦٤.المفصل في علوم البلاغة العربية المعاني، البيان، البديع، د .عيسى العاكوب، منشورات جامعة حلب، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠.
٦٥.من أسرار التعبير في القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٣.
٦٦.موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

٦٧.النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، الطبعة: الخامسة عشر، بدون تاريخ طبع.
٦٨.موقع هدي القرآن https://www.hodaalquran.com .
٦٩. http://almerja.com/knoze/ .
٧٠.https://quran-m.com
٧١.وموقع الموسوعة القرآنية https://quranpedia.net/ar /.
٧٢.قاموس المعاني: https://www.almaany.com/
٧٣.موقع الوراق الجزء الثاني http://www.alwarraq.com .
٧٤.موقع الإيمان. http://www.al-eman.com.
موسوعة الكحيل للإعجاز في القرآن والسنة.

تمت والحمد لله